

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 00849 7848

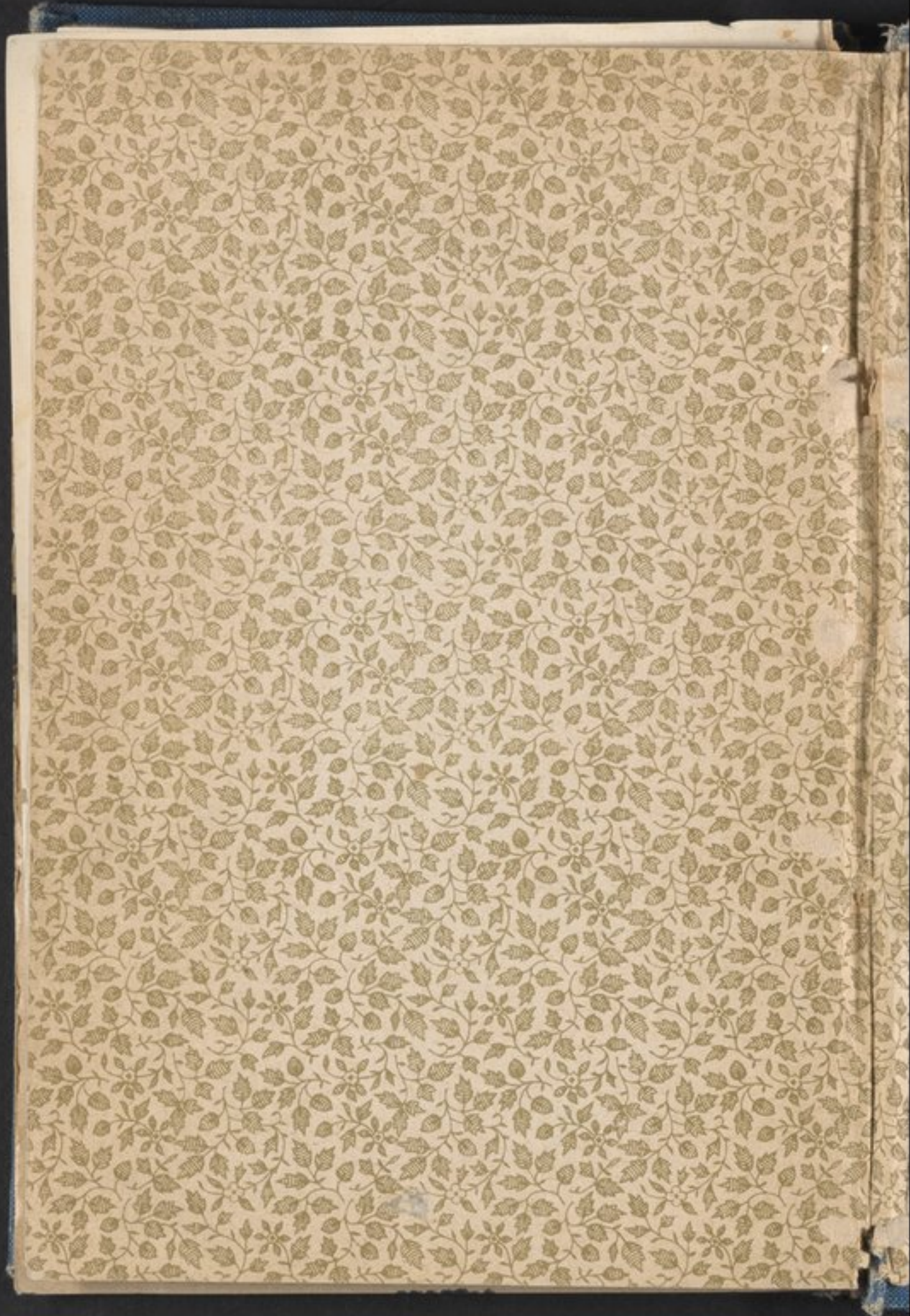
Library of
The American University
at Cairo

Bappy is the man that
findeth wisdom and
the man that getteth
understanding + + +

PROVERBS 3-13

Ex libris datis
in memoriam

W. McKim McKimney
Philadelphia, Pennsylvania



BP Muhammad ibn 'Abd al-Wahhāb
165.5 Masā'il al-Jāhiliyyah
M8
1928

مَنْبَأُ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ

التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية

« ألف أصلها »

« الامامُ الحُجِّي السُّنَّةُ ، ومُجَدِّدُ شَبَابِهَا فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ »

الشيخ محمد بن عبد الوهاب

« وتوسع فيها على هذا الوضع »

« علامةُ العراق »

السيد محمود شكري الاولوسي

القاهرة

١٣٤٧

عُنِيَتْ بِنَشْرِهِ

المطبعةُ السَّيِّدِيَّةُ - وَمَكَانُهَا

لصاحبها : محب الدِّينِ الطَّيْبِ وَدَعَاءُ مَنْ

B14499411
16275780

OCLC
21480188

29/7
M729

C1A
٢٠٩٤



11785

➤ حقوق الطبع محفوظة للطبعة السلفية ومكتبتها ➤

الى ذى النورينه

سيّد صاحب الدّعوة الى التّوحيد محمد بن عبد الوهاب

وحفيد مؤيديها وناشريها آل سعود الكرام

﴿صاحب السّموّ الملكي الأمير فيصل﴾

ابن صاحب الجلالة ملك العرب ، وباسط جناحي الأمن والعدل

في الحرمين الشريفين

﴿الامام عبد العزيز آل سعود﴾

أهدي هذا الكتاب

عبد الدين الخطيب

مُقَدِّمَةُ النَّاشِرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد ﷺ رافع لواء الهدى في العالمين

وبعدُ فإن الخلفاء الراشدين ورجال الدولة في زمن بني أمية كانوا يَهْدُونَ بلواء الاسلام الى السواحل العربية تخوض به الآفاق شرقاً وغرباً ، والى الاسنة العربية تدعو اليه بادية وحاضرة ؛ فكانت الدولة على اتصال بجزيرة العرب تُغْذِي الجيش من فتيانها ، وتُعْنِي بأحوال أهلهم في ربوعهم وبين جبالهم ، وتوسِّد الامور في الاقطار الى النواياح من عُقْلَانِهِمْ وحكامهم ؛ فكان الاسلامُ غَضًّا في جزيرة العرب ، وهداية معمولاً بها تحت الخيمة وفي بيت الشعر وبين جذوع النخيل . فما برح الاسلامُ بذلك منصوراً ، وممالكه بازدياد ، والناسُ يَدْخُلُونَ في دين الله شعوباً وأتماً ؛ إلى أن استدار الزمانُ مرةً أخرى فجرَّب الخلفاء من بني العباس الاعتمادَ على أهل السياسة والحيلة الدنيوية من الفرّس في إقامة دَعَائِمِ مُلْكِهِمْ . ولم يكن أهلُ السياسة والدنيا منهم كما

كان أهلُ التقوى والدين ، فأبدتِ المجوسيةُ نواجزَها . ورغم الفتك بأبي مسلم فإن الحال ظَلَّتْ على ذلك إلى زمن أمير المؤمنين المعتصم ، فأخذ دَفَّةَ السفينة من أيدي الفُرمس وأسلمها إلى أيدي غلمانهِ من الترك ، فنهض من شرٍّ واحد ووقع في شرّين : لأن للفُرمس سابقةً وحضارةً ليس لهؤلاء . وفي هذه الحادثة يقول الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده :

« خليفة عبادي أراد أن يصنع لنفسه ولخلفه ، وبأس ما صنع بأمته ودينه . أكثر من ذلك الجند الاجني ، واقام عليه الرؤساء منه . فلم تكن الاعشية او ضحاها حتى تغلب رؤساء الجند على الخفاء ، واستبدوا بالسلطان دونهم ، وصارت الدولة في قبضتهم . ولم يكن لهم ذلك العقل الذي راضه الاسلام ، والقلب الذي هذب الدين ، بل جاءوا الى الاسلام بخشونة الجهل ، يحملون الوية الظلم ، لبسوا الاسلام على ابدانهم ، ولم ينفذ شيء منه الى وجدانهم ، وكثير منهم كان يحمل إلهه معه بعيدة في خلوته ويصلي مع الجماعات لتسكين سلطته »

منذ تلك الازمان وجزيرة العرب مُهملة : لا تعينها الدولة ولا تستعين بها . وكانت نتيجة ذلك أن « الجاهلية » عادت الى جزيرة العرب واستقرت فيها قروناً طويلة ثم ظهر في صميم جزيرة العرب رجلٌ عظيم لا يزال حقه على المسلمين مهضوماً فيهم ، وأعني به الرجل المصلح ، داعي العرب والمسلمين الرجوع الى فطرة الاسلام الاولى ، شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب مؤلف أصل هذا الكتاب . هذا الرجل

نظر فيما عليه سكان جزيرة العرب في زمنه فرآهم في حالة سوء :
 العصية الجاهلية كاتي نهى عنها هادي البشر ﴿ محمد ﷺ ﴾ ، ودُعاه غير الله كالذي جاء ﷺ لاستئصال جرثومته ،
 والاحتيايل بمختلف الاسباب للابتعاد عن الحق والهدى كالذي
 كان قبل بعثته ﷺ . ثم التقاطع ، التفرق ، التواصي بالباطل
 دون الحق ، الاعتداء على حق الغير ، العطالة ، الكسل ،
 الخرافات والأوهام ، الضغينة ، الغوضى ، القذارة ، المكر ،
 الخداع ، عدم الانقياد للنظام بحيث كان كل رجل أمة وحده .
 هذه أمراض رآها مؤلف أصل هذا الكتاب موجودة في قومه
 وفي بلاده ، ورأى السنة المحمدية تدور حول تطهير الانسانية
 من هذه الشوائب ، فقال في نفسه :

— إذن نحن في مثل ما كانت عليه أهل الجاهلية !
 حينئذ عاهد ربه على أن يعلن الحرب على هذه الأمراض
 وأن يداويها بالطب النبوي من كتاب الله وسنة رسوله
 قلتُ انه كان رجلاً عظيماً ، لانه ثبت في جهاده الى أن
 لقي ربه ؛ فحوّل الله تلك الأوطان العربية على يده وبطريقته
 من أخلاق الجاهلية وأطوارها الى أمة تقيم الصلاة ساعة الدعوة
 اليها ، وتؤتي الزكاة عند استحقاقها ، ولا يشهد رمضان فيها ما يشاهده
 في مصر والشام والعراق من فضائح ، ويحجّون بقلوب لا متسع

فيها لغير الايمان بالله ، وكل رجل منهم عنده كَفَنُهُ يحمله مع سلاحه
إذا ناداه الامام للجهاد

ان تحويل هذه الامة مما كانت عليه الى ما صارت اليه
ليس من الامور الهينة ، وأنا كلما تصوّرتُ في ذهني عَظَمَةَ
محمد بن عبد الوهاب رحمه الله يتضاءل في نظري كثير من
الشخصيات التي انا مُعْجَبٌ بها ، فأنظر اليه بعين الاكبار
والاجلال

نعم ، ان في نجدٍ جموداً وشدة ، لكنها ناشتان عن عزلة
النجديين في بلاد مُنزوية عن ممرّ الامم ، وأنا على يقين بأن
اتصال نجد بالحجاز ، واتصال النجديين والحجازيين بحجّاج
الاقطار ، وازدياد عدد الحجيج باستقبال الامن ورسوخه ،
سيكون فيه خير عظيم للحجاز ونجد والعالم الاسلامي جميعاً



وبعدُ فان هذه الرسالة احدى نظرات محمد بن عبد الوهاب
الى المرض العام الذي كان سكان الجزيرة العربية مصابين
بأعراضه . والظاهر أنه جعلها رهوس أقلام ليتوسّع فيها يوماً ما ،
فلم يتيسّر ذلك له . وقد طُبعت في الهند على اختصارها الذي
جعلها بمقام فهرس للمسائل المائة التي خالف فيها رسولُ

الله ﷻ أهل الجاهلية من الاميين والكتابين . ولما رأى علامة العراق السيد محمود سكري اللوسي (رحمه الله) اختصارها ، وأدرك أنها ليست تأليفاً ولكنها مذكّرة لتأليف عمده الى شرحها . ولا أعني شرح ألفاظها بل شرح معانيها ، أي أنه أتم العمل الذي كان يريد المصلح النجدي العظيم أن يتمه

ولما كان كتاب السيد محمود سكري اللوسي لا يزال مخطوطاً وبخشي أن تجتاحه الجوائح ، فقد رأى صديقي أديب العراق السيد محمد رجب الأثرى - وهو خير من أنجبهم العلامة اللوسي - أن يجعل هذا الكتاب هدية الى عند زيارته القاهرة في شهر صفر سنة ١٣٤٧ ، ورأيت من قدر هذه الهدية عندي أن أبادر الى طبعها ووضعها بين أيدي الناس تعميماً لفائدتها ، وأن أجعلها هدية المكتبة السلفية الى سيد شباب هذه الدعوة الامير فيصل السعود لانه كما ورث حمايتها بآبائه ورث صاحب الدعوة نفسه من طرف أمه ، فلم أجد أحداً أولى بها منه . والله ولي التوفيق

القاهرة : ١٢ ربيع الاول ، ١٣٤٧

محّب الدّين الطّبيب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا الصراط
المستقيم * والصلاة والسلام على سيد الاولين والآخرين ، وعلى
آله وأصحابه الغر الميامين

أما بعد فيقول العبد المفتقر الى عفو الله وغفرانه محمود شكري
الألوسي البغدادي كان الله تعالى له ، وأحسن عمله : أي قد وقفت
على رسالة صغيرة الحجم كثيرة الفوائد تشتمل على نحو مائة مسألة
من المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية من
الاميين والكتابين ، وهي أمور ابتدعوها ما أنزل الله بها من
سلطان ولا أخذت عن نبي من النبيين . ألفها الإمام محيي السنة ،
ومجدد الشريعة النبوية ، أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب
النجدي الحنبلي تغمده الله تعالى برحمته . فرأيتها في غاية الإيجاز ،
بل كادت تعد من قبيل الألفاظ . قد عبر عن كثير منها بعبارة
مجمل ، وآتى فيها بدلائل ليست بمشروحة ولا مفصلة . حتى إن
من ينظرها ليظن أنها فهرس كتاب ، قد عدت فيه المسائل من

غير فصول ولا أبواب ، ولا شتمها على تلك المسائل المهمة الآخذة بيد المتمسك بها الى منازل الرحمة ، أحببت أن أعلق عليها شرحاً يفصل مجملها ويكشف معضلها من غير إيجاز مخل ولا إطناب ممل . مقتصر آ فيه على أوضح الأقوال ومبيناً ما أورده من برهان ودليل ، عسى الله أن ينفع بذلك المسلمين ويهدي به من يشاء من عباده المتقين فيكون سبباً للثواب ، والفوز يوم العرض والحساب ، والأمن من أليم العذاب ، وما توفيقى الا بالله ، عليه توكلت واليه أنيب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال المصنف رحمة الله تعالى عليه :

هذه مسائل خالف فيها رسول الله ﷺ ما عليه أهل الجاهلية الكتابيين والاميين مما لا غنى لمسلم عن معرفتها فالضد يظهر حسنه الضد ، وبضدها تتميز الأشياء . وأهم ما فيها وأشدّه خطراً عدم إيمان القلب بما جاء به الرسول ﷺ ، فان انضاف الى ذلك استحسان دين الجاهلية والايان به تمت الخسارة والعياذ بالله تعالى كما قال تعالى « والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون »

﴿ دعاء الصالحين ﴾

﴿ المسألة الاولى ﴾ : انهم يتعبدون باشراف الصالحين في دعاء الله تعالى وعبادته ويرون ذلك من تعظيم الصالحين الذي يحبه الله ويريدون بذلك شفاعتهم عند الله لظنهم انهم يحبون ذلك كما قال تعالى في أوائل الزمر « انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين ألا الله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زُلْفَى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون » وقال تعالى « ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » وهذه أعظم مسألة خالفهم فيها رسول الله ﷺ فأتى بالاخلاص وأخبرهم أنه دين الله الذي لا يقبل من أحد سواه وأخبر أن من فعل ما يستحسنونه فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وهذه المسألة هي الدين كله ولأجلها تفرق الناس بين مسلم وكافر وعندها وقعت العداوة ولأجلها شرع الجهاد كما قال تعالى في البقرة « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله »

﴿ التفرق ﴾

﴿ الثانية ﴾ : انهم متفرقون ويرون السمع والطاعة مهانة ورذالة فأمرهم الله بالاجتماع ونهاهم عن التفرقة فقال عز ذكره

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأقذكُم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » يقال أراد سبحانه بما ذكر ما كان بين الاوس والخزرج من الحروب التي تطاولت مائة وعشرين سنة الى أن ألف سبحانه بينهم بالاسلام فزال الاحقاد قاله ابن اسحاق وكان يوم بعث آخر الحروب التي جرت بينهم وقد فصل ذلك في الكامل . ومن الناس من يقول أراد ما كان بين مشركي العرب من التنازع الطويل والقتال العريض ومنه حرب البسوس كما نقل عن الحسن رضي الله عنه وقال تعالى « فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا » الى غير ذلك من الآيات الكريمة الناصية على النهي عن الاستبداد والتفرق وعدم الانقياد والطاعة مما كان عليه أهل الجاهلية

﴿ مخالفة ولي الامر ﴾

﴿ الثالثة ﴾ : ان مخالفة ولي الامر وعدم الانقياد له عندهم فضيلة

وبعضهم يجعله ديناً . فخالفهم النبي ﷺ في ذلك وأمرهم بالصبر

على جور الولاة والسمع والطاعة والنصيحة لهم وغلظ في ذلك وأبدى وأعاد . وهذه الثلاث هي التي ورد فيها ما في الصحيح عنه صلوات الله وسلامه « برضى لكم ثلاثاً : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم » وروى البخاري عن ابن عباس عن النبي صلوات الله وسلامه قال « من كره من أميره شيئاً فليصبر فانه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية » وروى أيضاً عن جنادة بن أبي أمية قال : دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض ، فقلنا : أصلحك الله حدث بحديث ينفعك الله به سمعته من النبي صلوات الله وسلامه . قال : دعانا النبي صلوات الله وسلامه فبايعنا فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله الا ان تركوا كفراً بواحا عندكم من الله فيه برهان . والأحاديث الصحيحة في هذا الباب كثيرة ولم يقع خلل في دين الناس أو دنياهم الا من الاخلال بهذه الوصية

﴿ التقليد ﴾

﴿ الرابعة ﴾ : أن دينهم مبني على أصول أعظمها التقليد فهو القاعدة الكبرى لجميع الكفار من الأولين والآخرين كما قال

تعالى في الزخرف « وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير
 الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون »
 قال أولو جثثكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما أرسلتم
 به كافرون » فأمرهم الله تعالى بقوله في سورة الاعراف « اتبعوا
 ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون »
 وقال تعالى « واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا
 عليه آباءنا أولو كان آباؤهم ليعقلون شيئا ولا يهتدون » الى
 غير ذلك مما يدل على أن أهل الجاهلية كانوا في رتبة التقليد
 لا يحكمون لهم رأيا ولا يشغلون فكراً فلذلك تاهوا في أودية الجهالة
 وهكذا كل من سلك مسلكهم في أي عصر كان

﴿ الاقتداء بالعالم الفاسق أو العابد الجاهل ﴾

﴿ الخامسة ﴾ : الاقتداء بفسقة أهل العلم وجهالهم وعبادهم
 فحذرهم الله تعالى من ذلك بقوله « يا أيها الذين آمنوا ان كثيراً
 من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن
 سبيل الله » وقال تعالى « قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير
 الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا
 عن سواء السبيل » الى آيات أخر تنادي ببطلان الاقتداء بالفساق
 وأهل الضلالة والغي وذلك من سنن أهل الجاهلية وطرائقهم

المعوجة

﴿ الاحتجاج بما كان عليه الآباء بلا دليل ﴾

﴿ السادسة ﴾ : الاحتجاج بما كان عليه أهل القرون السالفة من غير تحكيم العقل والأخذ بالدليل الصحيح وقد أبطل الله تعالى ذلك بقوله في طه « قال فمن ربكما يا موسى » قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » قال فما بال القرون الأولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى الذي جعل لكم الأرض مهدياً وسلك لكم فيها سبيلاً وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم » الخ وقال تعالى في القصص « فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مقتري وما سمعنا بهذا في آباءنا الأولين . وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون » وقال عز ذكره في سورة المؤمنين « واتقد أرسلنا نوحاً الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من آله غيره أفلا تتقون فقال الملائكة الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لآنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آباءنا الأولين ان هو الا رجل به جنة فترصبوا به حتى حين » وقال تعالى في ص « وانطلق الملائكة منهم ان امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا

لشيء يراد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ان هذا الاختلاق
فجعلوا مدار احتجاجهم على عدم قبول ما جاءت به الرسل
انه لم يكن عليه أسلافهم ولا عرفوه منهم . فانظر الى سوء مداركهم
وجهود قرائحهم ولو كانت لهم أعين يبصرون بها أو آذان يسمعون
بها لعرفوا الحق بدليله وانقادوا لليقين من غير تعليله وهكذا
أخلافهم ووراثتهم قد تشابهت قلوبهم

ولا

﴿ الاحتجاج على الحق بقلة أهله ﴾

﴿ السابعة ﴾ : الاعتماد على الكثرة والاحتجاج بالسواد
الاعظم والاحتجاج على بطلان الشيء بقلة أهله فانزل الله تعالى
ضد ذلك وما يبطله فقال في الانعام « وان تطع أكثر من في
الأرض بضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم
الا يخرصون ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين »
قال كثره على خلاف الحق لا تستوجب العدول عن اتباعه لمن كان
له بصيرة وقلب فالحق أحق أحق بالاتباع وان قل أنصاره كما قال
تعالى « قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيراً من
الخطاء ليبيغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
وقليل ما هم » فأخبر الله عن أهل الحق انهم قليلون غير ان القلة
لا تضرهم

تعتبرنا أنا قليلٌ عديدنا فقلتُ لها إن الكرامَ قليلٌ^(١)
فالمقصود أن من له بصيرة ينظر إلى الدليل ويأخذ ما يستنتجه
البرهان وإن قل العارفون به المنقادون له ومن أخذ ما عليه الأكثر
وما ألقته العامة من غير نظر لدليل فهو مخطيء سالك سبيل الجاهلية
مقدوح عند أهل البصائر

﴿الاستدلال على بطلان الشيء بكونه غريباً﴾

﴿الثامنة﴾ : الاستدلال على بطلان الشيء بكونه غريباً فردَّ
الله تعالى ذلك بقوله في هود «فلولا كان من القرون من قبلكم
أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض الا قليلاً ممن أنجينا منهم
واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين» ومعنى الآية
«فلولا كان» تخضيض فيه معنى التفعُّج، أي فهلا كان «من
القرون» أي الأقوام المقتربة في زمان واحد «من قبلكم أولو بقية»
أي ذو خصلة باقية من الرأي والعقل أو ذو فضل على أن يكون
البقية اسماً للفضل والهاء^(٢) للنقل ومن هنا يقال فلان من بقية القوم
أي من خيارهم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا،
«ينهون عن الفساد في الأرض» الواقع فيما بينهم حسبما ذكر في
قصصهم، وفسر الفساد بالكفر وما اقترن به من المعاصي، «الا
قليلاً ممن أنجينا منهم» استثناء منقطع أي ولكن قليلاً منهم أنجينا

(١) للسموال (٢) أي هاء التانيث في «بقية»

لكونهم كانوا ينهون

﴿ انخداع أهل القوة والحيلة بقوتهم وحيلتهم ﴾

﴿ التاسعة ﴾ : الاستدلال على المطلوب والاحتجاج بقوم

أعطوا من القوة في الفهم والادراك وفي القدرة والملك ظناً أن ذلك يمنعهم من الضلال ، فرد الله تعالى ذلك عليهم بقوله سبحانه في الاحقاف « فلما رأوه عارضاً مستقبلاً أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم . تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم ، كذلك نجزي القوم المجرمين . ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدةً فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء . إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن » ومعنى الآية « ولقد مكناهم » أي قوينا عاداً وأقدرناهم . و« ما » في قوله تعالى فيما ان مكناكم فيه موصولة أو موصوفة و« ان » نافية أي في الذي أو في شيء . ما مكناكم فيه من السعة والبسطة وطول الاعمار وسائر مبادي التصرفات كما في قوله تعالى « ألم يَرَوْا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لهم » ولم يكن النفي بلفظ « ما » كراهة لتكرير اللفظ وان اختلف المعنى « وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة » ليستعملوها فيما خلقت له ويعرفوا

لكل منها ما نيطت به معرفته من فنون النعم ، ويستدل بها على شئون منعمها عز وجل ويدأوموا على شكره جل ثناؤه « فما أغنى عنهم سمعهم » حيث لم يستعملوه في استماع الوحي ومواعظ الرسل ، « ولا أبصارهم » حيث لم يجتعلوا بها الآيات التكوينية المرسومة في صحائف العالم ، « ولا أفئدتهم » حيث لم يستعملوها في معرفة الله تعالى « من شيء » أي شيئاً من الأشياء ومن مزيدة للتوكيد وقوله « إذ كانوا يجحدون بآيات الله » تعليل للنفي « وحق بهم ما كانوا به يستهزؤن » من العذاب الذي كانوا يستعجلونه بطريق الاستهزاء ويقولون « فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين » فهذه الآية تبطل الاحتجاج بقوم أعطوا ما أعطوا من القوة في الفهم والادراك وفي القدرة والملك ظناً أن ذلك يمنعهم من الضلال . ألا ترى أن قوم عاد كما أخبر عنهم التنزيل كانوا من القوة والبسطة في الأموال والابدان والادراك وسعة الازدهان وغير ذلك مما لم يكن مثله للعرب الذين أدركوا الاسلام ومع ذلك ضلوا عن سواء السبيل وكذبوا الرسل بالباطيل فالتوفيق للإيمان بالله ورسله والاذعان للحق وسلوك سبيله إنما هو فضل من الله تعالى لا لكثرة مال ولا لحسن حال ومن يرد الحق ويستدل بكون من هو أحسن حالا منه

لم يقبله ولم يحكم عقله ويتبع ما يوصله اليه الدليل فقد سلك سبيل
الجاهلية وحاد عن المحجة المرضية ، ومثل هذه الآية قوله تعالى
« وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به فلعنة الله على الكافرين » . كان اليهود يعلمون من كتبهم
رسالة محمد ﷺ وأن الله سيرسل نبياً كريماً من العرب وكانوا قبل بعثته
يستفتحون على المشركين ببعثته ويقولون يا ربنا أرسل النبي
الموعود ارساله حتى نتنصر على الاعداء فلما جاءهم ما عرفوا وهو
محمد ﷺ كفروا به حسداً منهم أن تكون النبوة في العرب وهم
بزعمهم أحسن أثناً ورثياً ولم يعلموا أن النبوة والايمان بها فضل
من الله يؤتيه من يشاء . ومثلها أيضاً قوله تعالى « الذين آتيناهم
الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق
وهم يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين » الضمير في قوله
يعرفونه عائد على العلم في قوله « ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما
جاءك من العلم أنك إذا لمن الظالمين » فكتمانهم الحق وعدم
جريهم على مقتضى علمهم لما فيهم من الجاهلية والاعتقاد ان فضل
الله مقصور عليهم لا يتعداهم الى غيرهم وآية الانعام موافقة لهذه
الآية لفظاً ومعنى وهي قوله تعالى « قل أي شيء أكبر شهادة قل

الله شهيد بيني وبينكم وأوحى اليّ هذا القرآن لا نذركم به ومن بلغ أثنتكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل إنما هو الله واحد واتى بريء مما تشركون . الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون»

﴿ انخداع أهل الثروة بثروتهم ﴾

﴿ العاشرة ﴾ : الاستدلال بعطاء الدنيا على محبة الله تعالى . قال سبحانه « وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها أنا بما أرسلناكم به كافرون . وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعتدين قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون . وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون . والذين يسعون في آياتنا مُعَاجِزِينَ أولئك في العذاب محضرون . قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يُخْلَفُهُ وهو خير الرازقين » وقال في سورة القصص « وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون . ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت

الينا رسولا فنتمتع آياتك ونكون من المؤمنين . فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون . قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين . فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين » وفي آية أخرى في سورة القصص يقول الله سبحانه « ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتيحه لتنوء بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين . قال انما أوتيته على علم عندي أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون » الى آخر الآية فقد كفانا الله تعالى ابطال هذه الخصلة الجاهلية بقوله في الآية الأولى « قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء » وفي الآية الاخرى بقوله « أولم يعلم ان الله » الخ فعملنا من ذلك ان محبة الله ورضاء الله انما تكون بطاعته والانقياد لرسله والاذعان للحق باتباع البرهان . وأما كثرة المال وسعة الرزق وعيش الرخاء فلا دليل فيه على نجاة

المنعم عليه بمثل ذلك ولو كانت الدنيا وما فيها تعادل عند الله جناح بعوضة ما سقى من عصاه شربة ماء قال سبحانه « ولولا ان يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سُقُفًا من فضة ومعارج عليها يظهرون » وعلى ذلك قول القائل ^(١) :
 كم عالم عالم أعيت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا ^(٢)
 ومما ينسب لبعض الأكابر :

رضينا قسمة الجبار فينا لنا علم وللأعداء مال
 فان المال يفتى عن قريب وان العلم باق لا يزال
 والشواهد كثيرة والمقصود ان ما كان عليه أهل الجاهلية من
 كون زخارف الدنيا من الأدلة على قرب من حازها من الله وقبوله
 عنده فقول بعيد عن الحق ومذهب باطل لا ينبغي لمن له بصيرة
 أن يعول عليه

﴿ الاستخفاف بالحق لضعف أهله ﴾

﴿ الحادية عشرة ﴾ : الاستدلال على بطلان الشيء بأخذ
 الضعفاء به وضعف فهم من أخذ به على ما يدل عليه قول قوم نوح له
 كما حكاه عنهم الكتاب الكريم قال تعالى في سورة الشعراء « كذب
 قوم نوح المرسلين . إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون . اني لكم

(١) هو أبو الحسين أحمد بن يحيى المشهور بابن الراوندي الملحد

(٢) وبعده : هذا الذي ترك الأوهام حائرة وصير العالم التحرير زنديقا

رسول أمين . فأتقوا الله وأطيعون . وما أسألكم عليه من أجر إن
اجريَ الا على رب العالمين : فأتقوا الله وأطيعون . قالوا أنؤمن لك
وأتبعك الارذلون . قال وما علمي بما كانوا يعملون . ان حسابهم الا
على ربي لو تشعرون . وما أنا بطارد المؤمنين . ان أنا الا نذير مبين »
فانظر الى قوم نوح كيف استنكفوا من اتباع نبيهم لسبب اتباع
الضعفاء له وذلك لكون مطمح أنظارهم الدنيا والآل لو كانت
الآخرة همهم لاتبعوا الحق اينما وجدوه ولكن لجاهليتهم أعرضوا
عن الحق لاتباع شهواتهم . وانظر الى هرقل لما كان من العقل
والبصيرة على جانب عظيم اعتقد اتباع الضعفاء دليلاً على الحق
فقال في جملة ما سأل أبا سفيان عن رسول الله ﷺ : وسألتك
أشرافُ الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟ فذكرت ان ضعفاءهم اتبعوه
وهم اتباع الرسل . ومثل ذلك قوله تعالى في سورة هود « ولقد
أرسلنا نوحاً الى قومه اني لكم نذير مبين . ألا تعبدوا الا الله اني
أخاف عليكم عذاب يوم أليم . فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك
الا بشراً مثلاًنا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادي الرأي
وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين » الآيات
﴿ وسم انصار الحق بما ليس فيهم ﴾

﴿ الثانية عشرة ﴾ : من خصال الجاهلية رمي من اتبع الحق
بعدم الاخلاص وطلب الدنيا . فرد الله عليهم بقول نبيهم الذي

حكاه الله عن نوح في الآية الاولى المذكورة في المسألة الحادية عشرة بقوله « قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون . قال وما علمي بما كانوا يعملون . ان حسابهم الاعلى ربي لو تشعرون » . ومقصودهم ان اتباعك فقرا . آمنوا بك لينالوا مقصدهم من العيش لا ان ايمانهم كان لدليل يقتضي صحة ما جئت به ، فلهذا رد عليهم بما رد

﴿ التكبر عن نصرة الحق لان انصاره ضعفاء ﴾

﴿ الثالثة عشرة ﴾ : من خصال الجاهلية . الاعراض عن الدخول في الحق الذي دخل فيه الضعفاء تكبراً وأنفة ، فرد الله تعالى عليهم ذلك بقوله في سورة الانعام « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين . وكذلك فتناً بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله باعلم بالشاكرين » . ومثل ذلك قوله تعالى « عبس وتولى أن جاءه الاعمى » وغير ذلك . وحاصل الرد ان من آمن من هؤلاء الضعفاء انما كان ايمانه عن برهان لا كإزعم خصومهم ولست أنت بمسئول عنهم ولا هم مسئولين عن حسابك ، فطردوهم عن باب الايمان من الظلم بمكان

﴿استدلّاهم على بطلان الشيء بكونهم أولى به لو كان حقاً﴾
 ﴿الرابعة عشرة﴾ : الاستدلال على بطلان الشيء بكونهم
 أولى به لو كان حقاً . قال تعالى في سورة الاحقاف « وقال الذين
 كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا اليه وإذ لم يهتدوا به
 فسيقولون هذا فك قديم » بعد قوله « قل رأيتم أن كان من عند
 الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن
 واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين »

﴿جهلهم بالجامع والفارق﴾

﴿الخامسة عشرة﴾ : الاستدلال بالقياس الفاسد وانكار
 القياس الصحيح وجهلهم بالجامع والفارق . قال تعالى في سورة
 المؤمنين « فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم
 يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لآنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في
 آبائنا الاولين . ان هو الا رجل به جنة قتربصوا به حتى حين »
 وقبل الآية « ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه » شروع في بيان اهمال
 الناس وتركهم النظر والاعتبار فيما عدد سبحانه وتعالى من النعم
 قبل هذه الآية ومن خافهم من زوالها وفي ذلك تخويف لقريش ،
 وتقديم قصة نوح عليه السلام على سائر القصص مما لا يخفى وجهه .
 فقال متعطفاً عليهم ومستميلاً لهم الى الحق « يا قوم اعبدوا الله » أي

اعبدوه وحده «ما لكم من إله غيره» استئناف مسوق لتعليل العبادة
 المأمور بها «أفلا تتقون» الهمزة لانكار الواقع واستقباحه والفاء للعطف
 على مقدر يقتضيه المقام أي أتعرفون ذلك أي مضمون قوله تعالى
 «ما لكم من إله غيره» فلا تتقون عذابه تعالى الذي يستوجبه
 ما أنتم عليه من ترك عبادته سبحانه وحده وإشراككم به عز وجل
 في العبادة مالا يستحق الوجود - لولا إيجاد الله إياه - فضلا عن
 استحقاق العبادة، فالمنكر عدم الاتقاء مع تحقق ما يوجب «فقال الملائكة
 أي الأشراف» الذين كفروا من قومه «وصف الملائكة بالكفر مع
 إشراك الكل فيه للإيدان بكمال عرافتهم وشدة شكيمتهم فيه
 وليس المراد من ذلك إلا ذمهم دون التميز عن أشراف آخرين
 آمنوا به عليه السلام أولم يؤمن به أحد من أشرافهم كما يفصح عنه
 قوله «ما نراك أتبعك إلا الذين هم أراذلنا» وهذا القول صدر
 منهم لعوامهم «ما هذا إلا بشر مثلكم» أي في الجنس والوصف من
 غير فرق بينكم وبينه، وصفوه عليه السلام بذلك مبالغة في وضع
 رتبته العالية وحطها عن منصب النبوة، وصفوه بقوله سبحانه وتعالى
 «يريد أن يتفضل عليكم» أغضابا للمخاطبين عليه عليه السلام وأغراء
 لهم على معاداته. والتفضل طلب الفضل وهو كناية عن السيادة كأنه

قيل يريد أن يسودكم ويتقدمكم بأدعاء الرسالة مع كونه مثلكم .
 «ولو شاء الله لانزل ملائكة» بيان لعدم رسالة البشر على الاطلاق
 على زعمهم الفاسد بعد تحقيق بشرية عليه السلام أي ولو شاء الله
 تعالى إرسال الرسول لارسل رسلا من الملائكة وانما قيل لانزل
 لان ارسال الملائكة لا يكون الا بطريق الانزال «ما سمعنا بهذا
 في آياتنا الاولى» هذا اشارة الى الكلام المتضمن الامر بعبادة
 الله عز وجل خاصة ، والكلام على تقدير مضاف أي ما سمعنا
 بمثل هذا الكلام في آياتنا الماضية قبل بعثته عليه السلام . وقدر
 المضاف لان عدم السماع لكلام نوح المذكور لا يصلح للرد فان
 السماع لمثله كان في القبول «ان هو الا رجل به جنة» أي ما هو الا
 رجل به جنون أو جن يخجلونه ولذلك يقول ما يقول «فتربصوا به
 حتى حين» فاحتملوه واصبروا عليه وانتظروا لعله يفيق مما هو فيه
 محمول على مراמי أحوالهم في المكابرة والعناد واضرابهم عما
 وصفوه عليه السلام به من البشرية واردة التفضل الى وصفه بما
 ترى وهم يعرفون أنه عليه السلام أرجح الناس عقلا وأرزنهم قولا
 وهو محمول على تناقض مقالاتهم الفاسدة قائلهم الله تعالى أني
 يؤفكون . والقياس الفاسد والصحيح والجامع والفارق مفصل في
 كتب الاصول ، فبين الرسل عليهم السلام وسائر الناس مشابهة من

جهة البشرية ولوازمها الضرورية فيصح حينئذ قياس الرسل على غيرهم فيها وعليه قوله تعالى « قل انما أنا بشر مثلكم ». وبين الرسل والانبياء عليهم السلام وغيرهم من البشر فروق كثيرة منها أن الله تعالى اصطفاهم على الناس برسالته وبكلامه ووحيه وخصهم بذلك فلا يقاس أحد من الناس بهم حينئذ من هذه الجهة كما لا يصح قياس غيرهم بهم في سائر خصائصهم التي فصلت في غير هذا الموضع . فالجاهلية لم يميزوا بين القياس الصحيح والفاسد ولا عرفوا الجامع ولا الفارق كما سمعت من قياسهم الرسل على غيرهم وهكذا أتباعهم اليوم ومن هو على شاكلتهم

﴿ الغلو في الصالحين ﴾

﴿ السادسة عشرة ﴾ : الغلو في الصالحين من العلماء والاولياء كقوله تعالى في سورة التوبة « وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون . اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون . يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » فاتخاذ أحبار الناس أرباباً يحللون ويحرمون ويتصرفون

في الكون وينادون في دفع ضرر أو جلب نفع من جاهلية الكتابيين ،
ثم سرى الى غيرهم من جاهلية العرب ، ولهم اليوم بقايا في مشارق
الارض ومغاربها تصديقاً لقول النبي ﷺ « لتبعن سنن من كان
قبلكم » الحديث . حتى نرى غالب الناس اليوم معرضين عن الله
وعن دينه الذي ارتضاه متوغلين في البدع تأهبن في أودية الضلال
معادين للكتاب والسنة ومن قام بهما فأصبح الدين منهم في أنين
والاسلام في بلاء مبين . وحسبنا الله ونعم الوكيل

﴿ الاعتذار بعدم الفهم ﴾

﴿ السابعة عشرة ﴾ : اعتذارهم عن اتباع الوحي بعدم الفهم
قال تعالى في سورة البقرة « ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من
بعده بالرسول وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس
أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم
وفريقاً تقتلون . وقالوا قلوبنا غُلْفٌ بل لعنهم الله بكفرهم فقليلاً
ما يؤمنون » وفي سورة النساء « فيما تقضهم মিথاقهم وكفرهم بآيات
الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها
بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً » . الغلف جمع أغلف كاحمر وحمر ،
وهو الذي لا يفقه . وأصله ذو القلفة الذي لم يخنن أو جمع غلاف
ويجمع على غلف بضمين أيضاً ، وأرادوا على الاول قلوبنا مغطاة

بأغشية خلقية مانعة عن نفوذ ماجئت به فيها . وهذا كقولهم قلوبنا
 في أكنة مما يدعوننا اليه . قصدوا به اقنائط النبي ﷺ عن الاجابة
 وقطع طمعه عنهم بالكلية . ومنهم من قال معنى غلف مغشاة بعلوم
 من التوراة تحفظها أن يصل اليها ما تأتي به ، أو بسلامة من الفطرة
 كذلك . وعلى الثاني أنها أوعية العلم فلو كان ما تقوله حقاً وصدقاً
 لوعته . قال ابن عباس وقتادة والسدي : أو مملوءة علماً فلا تسمع
 بعد شيئاً فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره . ومنهم من قال :
 أرادوا أنها أوعية العلم فكيف يحل لنا اتباع الأمي . ولا يخفى بعده .
 وقال تعالى في سورة هود « ويا قوم لا يجزئكم شقائي أن يصيبكم
 مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم
 يبعيد . واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود . قالوا
 يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفاً ولولا رهطك
 لرجمناك وما أنت علينا بعزیز » وهذه الآية بمعنى الآية الاولى .
 وقد كذبهم الله تعالى في دعواهم هذه في آيات كثيرة وذكر أن
 السبب في عدم الفهم إنما هو الطبع على القلوب بكفرهم لا القصور
 في البيان والتفهم . وما أحسن قول القائل (١) :

(١) هو أبو العلاء المعري

والنجم تستصغرُ الابصار صورته
والذنب للطرف لا للنجم في الصغر

﴿ انكارهم الحق الذي لا تقول به طائفتهم ﴾

﴿ الثامنة عشرة ﴾ : من خصال الجاهلية أنهم لا يقبلون من الحق إلا ما تقول به طائفتهم قال تعالى « وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل أن كنتم مؤمنين ». ومعنى « نؤمن بما أنزل علينا » أي نستمر على الإيمان بالتوراة وما في حكمها مما أنزل في تقرير حكمها، ومرادهم بضمير المتكلم إما أنبياء بني اسرائيل وهو الظاهر وفيه إيماء إلى أن عدم إيمانهم بالقرآن كان بغياً وحسداً على نزوله على من ليس منهم وأما أنفسهم . ومعنى الانزال عليهم تكليفهم بما في المنزل من الاحكام. واذموا على هذه المقالة لما فيها من التعريض بشأن القرآن ودسائس اليهود مشهورة ، أو لانهم تأولوا الامر المطلق العام ونزلوه على خاص هو الايمان بما أنزل عليهم كما هو ديدنهم في تأويل الكتاب بغير المراد منه . ويكفرون بما وراءه وهو الحق أي هم مقارنون لحقيقته أي عالمون بها « مصدقاً لما معهم » لان كتب الله

يصدق بعضها بعضاً ، فالتصديق لازم لا ينقل وقد قررت مضمون الخبر لأنها كالأستدلال عليه ولهذا تضمنت رد قولهم : نؤمن بما أنزل علينا حيث أن من لم يصدق بما وافق التوراة لم يصدق بها . « قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين » أمر للنبي ﷺ أن يقول ذلك تبكيته لهم حيث قتلوا الأنبياء مع ادعاء الإيمان بالتوراة وهي لا تسوغه

﴿ التمسك بخرافات السحر ﴾

﴿ التاسعة عشرة ﴾ : من خصالم الاعتياض عن كتاب الله تعالى بكتب السحر كما قال تعالى في سورة البقرة « ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون . واتبعوا ماتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملائكة ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولوا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون » والكلام على هذه الآية في التفاسير مشهور . وهذه الخصلة الجاهلية موجودة اليوم في كثير من الناس ، لاسيما من تنسب الى

الصالحين وهو عنهم بمراحل ، فيتعاطى الاعمال السحرية من امساك الحيات وضرب السلاح والدخول في النيران وغير ذلك مما وردت الشريعة بابطاله فأعرضوا ونبدوا كتاب الله وراء ظهورهم واتبعوا ما ألفاه اليهم شياطينهم وادعوا أن ذلك من الكرامات مع أن الكرامة لا تصدر عن فاسق ومن يتعاطى تلك الاعمال فسقهم ظاهر للعيان ولذا اتخذوا دينهم لعباً ولهواً ، وفي مثلهم قال تعالى « الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » .

﴿ التناقض في الانتساب ﴾

﴿ العشرون ﴾ : تناقضهم في الانتساب فينسبون الى ابراهيم عليه السلام والى الاسلام ، مع اظهارهم ترك ذلك والانتساب الى غيره

﴿ صرف النصوص عن مدلولاتها ﴾

﴿ الحادية والعشرون ﴾ : تحريف كلام الله من بعد ما عقلوه وهم يعلمون . ولكم في هذا العصر من هو على شاكلتهم تراه يصرف النصوص ويأولها الى ما يشتهي من الأهواء

﴿ تحريف كتب الدين ﴾

﴿ الثانية والعشرون ﴾ : تحريف العلماء لكتب الدين . قال الله تعالى « ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا اماني وان هم

الا يظنون . فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » ومن نظر الى قضاة هذا الزمان وما تلاعبوا به من الاحكام وصرف النصوص الى ما تهواه أنفسهم وتبديل الحق وابطاله بما ينالونه من الرشى وغير ذلك مما هم عليه اليوم تبين له من ذلك بحر لاساحل له . وهكذا بعض المبتدعة وغلاة القبور ، وقد بين حالهم في غير هذا الموضع

﴿ الانصراف عن هداية الدين الى ما يخالفها ﴾

﴿ الثالثة والعشرون ﴾ : وهي من أعجب المسائل والخصال معاداة الدين الذي انتسبوا اليه أشد العداوة ، وموالاتهم لمذهب الكفار الذين فارقوهم أكل الموالاة ، كما فعلوا مع النبي ﷺ لما أتاهم بدين موسى واتبعوا كتب السحر وهو من دين آل فرعون ، ومثل هؤلاء في الأمة الاسلامية كثير هجروا السنة وعادوها ونصروا أقوال الفلاسفة وأحكامهم

﴿ كفرهم بما مع غيرهم من الحق ﴾

﴿ الرابعة والعشرون ﴾ : أنهم لما افترقوا وكل طائفة لاتقبل من الحق الا ما قالته طائفتهم وكفروا بما مع غيرهم من الحق . قال تعالى في سورة البقرة « وقالت اليهود ليست النصارى على شيء »

وقالت النصارى ليست اليهود على شيء، وهم يتلون الكتاب
كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم قال الله يحكم بينهم يوم القيامة
فيما كانوا فيه يختلفون « ولا شك ان هذا من خصال الجاهلية وعليها
اليوم كثير من الناس لا يعتقد الحق الا معه لا سيما ارباب المذاهب
يرى كل اهل مذهب ان الدين معه لا يعدوه الى غيره وكل حزب
بما لديهم فرحون

وكل يدعى وصلابليلى وليلى لاتقر لهم بذاكا
والحزم أن ينظر الى الدليل فما قام عليه الدليل فهو الحق
الحري ان يتلقى بالقبول وما ليس عليه برهان ولا حجة ينبذ وراء
الظهور وكل أحد يؤخذ من قوله ويرد الا من اصطفاه الله لرسالته
﴿ ادعاء كل طائفة حصر الحق فيها ﴾

﴿ الخامسة والعشرون ﴾ : انهم لما سمعوا قوله ﷺ في
حديث الفرق « وستفترق أمتي الى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار
الا واحدة » ادعى كل فرقة انها هي الناجية كما حكى الله تعالى
عن اليهود والنصارى في قوله تعالى « وقالت اليهود ليست
النصارى على شيء » وقالت النصارى ليست اليهود على شيء » مع
أن النبي ﷺ بين في آخر الحديث المراد من الفرقة الناجية
فقال « وهم ما كنت أنا عليه وأصحابي » أو كما قال. ورد الله تعالى
عليهم بقوله « وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى

تلك أمانتهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ، بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا يحزنون» والمقصود أنهم ليس لهم برهان على هذه الدعوى بل الدليل على خلاف ذلك ، وأبو العباس تقي الدين تكلم على حديث الفرق في كتابه (منهاج السنة) بما لا مزيد عليه حيث استدلل به الرافضي على حقيقة مذهبه وبطلان مذهب أهل السنة ، فراجع ان اردته ﴿ أنكار ما أقروا انه من دينهم ﴾

﴿ السادسة والعشرون ﴾ : انهم أنكروا ما أقروا انه من دينهم كما فعلوا في حج البيت فتعبدوا بانكاره والبراءة منه مع ذلك الاقرار كما قال تعالى في سورة البقرة « وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأماناً واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى » الى أن قال « ومن يرغب عن ملة إبراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين » اذ قال له ربه اسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابني ان الله اصطفى اسلم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون »

يقال ان سبب نزول قوله « ومن يرغب » الخ ما روى ان عبد الله بن سلام دعا ابني أخيه سلمة ومهاجر الى الاسلام فقال : قد علمتما ان الله تعالى قال في التوراة « اني باعث من ولد اسماعيل نبياً اسمه أحمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ، ومن لم يؤمن به

فهو ملعون « فأسلم سلمة وأبو مهاجر فنزلت . انتهى

﴿ المجاهرة بكشف العورات ﴾

﴿ السابعة والعشرون ﴾ : المجاهرة بكشف العورات . قال

تعالى في سورة الاعراف « واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها
آباءنا والله أمرنا بها ، قل ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله
مالا تعلمون ، قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل
مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تهودون ، قال بعض
المفسرين : الفاحشة هنا الفعلة القبيحة المتناهية في القبح ، والثاء اما
لأنها مجرأة على الموصوف المؤنث أي فعلة فاحشة ، واما للنقل من
الوصفية الى الاسمية والمراد بها هنا عبادة الأصنام وكشف العورة
في الطواف ونحو ذلك . وعن الفراء تخصيصها بكشف العورة وفي
الآية حذف أي : واذا فعلوا فاحشة فنهوا عنها قالوا وجدنا عليها
آباءنا والله أمرنا بها محتجين بأمرين : بتقليد الآباء ، والاقتراء
على الله . وكان من سنة الخمس انهم لا يخرجون أيام الموسم الى
عرفات ، انما يقفون بالمزدلفة . وكانوا لا يسلاون ولا ياقطون
ولا يرتبطون عتراً ولا بقرة ولا يغزلون صوفاً ولا وبراً ولا يدخلون
بيتاً من الشعر والمدر وانما يكتنون بالقباب الحمر في الاشهر الحرم ،
ثم فرضوا على العرب قاطبة أن يطرحوا أزواد الحل اذا دخلوا
الحرم وأن يتركوا ثياب الحل ويستبدلوها بثياب الحرم إما شراء

وإما عارية وإما هبة ، فإن وجدوا ذلك فيها والا طافوا بالبيت
عرايا . وفرضوا على نساء العرب مثل ذلك غير أن المرأة كانت
تطوف في درج مفرج القوائم والمآخير . قالت امرأة^(١) وهي
تطوف بالبيت :

اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله
أختم مثل القعب بادر ظله كأن حصى خيبر تملّه

وكلفوا العرب أن يفيضوا من مزدلفة وقد كانوا يفيضون من
عرفة إلى غير ذلك من الأمور التي ابتدعوها وتشرعوها مما لم يأذن
به الله . ومع ذلك انهم كانوا يدعون انهم على شريعة أبيهم ابراهيم
عليه السلام وما ذلك الا جاهليتهم

وغالب من ينتمي إلى الاسلام اليوم ابتدعوا في الدين ما لم
يأذن به الله : فمنهم من اتخذ ضرب المعازف وآلات اللهو عبادة
يتعبدون بها في بيوت الله ومساجده ، ومنهم من اتخذ الطواف على
القبور والسفر اليها والذود أخلص عبادته وأفضل قرباته ، ومنهم
من ابتدع الرهبانية والحيل الشيطانية وزعم أنه سلك سبيل الزهاد
وطريق العباد ومقصده الأعلى نيل شهواته الحيوانية والفوز بهذه
الدنيا الدنية ، إلى غير ذلك مما يطول ولا يعلم ماذا يقول

إلى ديّان يوم الدين نَمُضِي وعند الله تجتمع الخصوم

(١) هي ضباعة بنت عامر بن صعصعة

﴿التعبد بتحریم الحلال﴾

﴿الثامنة والعشرون﴾ : التعبد بتحریم الحلال فردّ الله تعالى عليهم ذلك بقوله تعالى في سورة الاعراف «يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المفسرفين قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ، قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والانم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون ، ومعنى الآيات : يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، أي ثيابكم لمواراة عوراتكم عند طواف أو صلاة . وسبب النزول انه كان أناس من الاعراب يطوفون بالبيت عراة حتى ان كانت المرأة لتطوف بالبيت وهي عريانة فتعاق على سفها سيورا مثل هذه السيور التي تكون على وجه الحجر من الذباب وهي تقول :

اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله

فأنزل الله تعالى هذه الآية « وكلوا واشربوا »

قال السكبي : كان أهل الجاهلية لا يأكلون من الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما في أيام حجهم يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون : يا رسول الله نحن أحق بذلك ، فأنزل الله تعالى الآية

وفيه يظهر وجه ذكر الأكل والشرب هنا . « ولا تسرفوا » بتحريم
الحلال كما هو المناسب لسبب النزول ، « انه لا يحب المسرفين » بل
يبغضهم ولا يرضى أفعالهم . « قل من حرم زينة الله التي أخرج
لعباد » من الثياب وكل ما يتجمل به وخلق له انفعهم من الثياب
كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف « والطيبات من الرزق »
أي المستلذات ، وقيل المحللات من المأكول والمشروب كالحم الشاة
وشحمها ولبنها « قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا » أي هي لهم
بالإصالة لمزيد كرامتهم على الله تعالى ، والكفرة وإن شاركهم
فيها فبالتبع فلا اشكال في الاختصاص « خالصة يوم القيامة » أي
لا يشاركهم فيها غيرهم « كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون »
أي مثل تفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الأحكام لمن يعلم ما في
تضاميتها من المعاني الرائقة . « قل إنما حرم ربي الفواحش » أي
ما تزايد قبحه من المعاصي ومنه ما يتعلق بالفروج ، « ما ظهر منها
وما بطن » بدل من الفواحش ، أي جهرها وسرها ، وعن البعض
« ما ظهر » الزنا علانية « وما بطن » الزنا سرا وكانوا يكرهون الأول
ويفعلون الثاني فنهوا عن ذلك مطلقاً . وعن مجاهد « ما ظهر » التعري في
الطواف « وما بطن » الزنا . والبعض يقول : الأول طواف الرجال
بأنهار والثاني طواف النساء بالليل عاريات . « والآنم » أي ما يوجب
الآنم وأصله الذم ثم أطلق على ما يوجب من مطلق الذنب ، وذكر

للتعميم بعد التخصيص بناء على ما تقدم من معنى الفواحش . ومنهم
من قال : ان الائم هو الخمر وعليه أهل اللغة ، وأنشدوا له قول
الشاعر :

نهانا رسولُ الله أن تقرب الزنا
وأن نشرب الائم الذي يوجب الوزرا
وقول الآخر :

شربت الائم حتى ضل عقلي
كذلك الائم يذهب بالعقول

«والبغي بغير الحق» وهو الظلم والاستطالة على الناس، وأفرد
بالذكر بناء على التعميم فيما قبله أو دخوله في الفواحش للمبالغة في
الزجر عنه «وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على
الله ما لا تعلمون» بالاحاد في صفاته والافتراء عليه كقولهم: والله
أمرنا بها . ولا يخفى أن متصوفة زماننا على هذه الخصلة الجاهلية
فقد حرموا على أنفسهم زينة الله والطيبات من الرزق ليعتقد الناس
صلاحهم وابتدعوا الخلوات والرياضات وغير ذلك من شعائرهم في
المأكل والملبس وسائر شئونهم وما دروا أنهم بذلك من القوم الذين
ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا

﴿الاحاد في اسماء الله سبحانه وصفاته﴾

﴿التاسعة والعشرون﴾ : الاحاد في أسمائه وصفاته . قال سبحانه في سورة الاعراف « ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون » تفسير هذه الآية : « ولله الاسماء الحسنى » تنبيه المؤمنين على كيفية ذكره تعالى وكيفية المعاملة مع المحايين بذلك الغافلين عنه سبحانه وعمما يليق بشأنه أثر بيان غفلتهم التامة وضلاتهم الطامة « فادعوه بها » إمامن الدعوة بمعنى التسمية كقولهم دعوتنه زيداً أو يزيد أي سميت به ، أو الدعاء بمعنى النداء كقولهم دعوت زيداً أي ناديت به ، « وذروا الذين يلحدون في أسمائه » أي يميلون وينحرفون فيها عن الحق الى الباطل يقال ألحد اذا مال عن القصد والاستقامة ، ومنه لحد القبر لكونه في جانبه بخلاف الضريح فإنه في وسطه . والاحاد في أسمائه سبحانه أن يسمى بما لا توقيف فيه أو بما يوهم معنى فاسداً كما في قول أهل البدو يا أبا المكارم يا أبيض الوجه يا سخي ونحو ذلك ، فالمراد بترك المأمور به الاجتناب عن ذلك ، وبأسمائه ما أطلقوه عليه تعالى وسموه به على زعمهم لا أسماؤه تعالى حقيقة وعلى ذلك يحمل ترك الاضمار بان يقال يلحدون بها . وقال تعالى « كذلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك وهم

يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه
 متاب » وهذه الآية في سورة الرعد . عن قتادة وابن جريج
 ومقاتل ان الآية نزلت في مشركي مكة لما رأوا كتاب الصلح
 يوم الحديبية وقد كتب فيه علي عليه السلام : بسم الله الرحمن الرحيم
 فقال سهيل بن عمرو ما نعرف الرحمن إلا مسيلة ، ومنهم من قال
 سمع أبو جهل قول رسول الله ﷺ يا الله يا رحمن فقال : ان محمداً
 ينهانا عن عبادة الآلهة وهو يدعو إلهين فنزلت . وعن بعضهم أنه
 لما قيل للكفار قريش : اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن فنزلت .
 وقيل غير ذلك مما يطول . وقال تعالى « وقالوا لجلودهم لم شهدتم
 علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء » وهو خلقكم أول مرة
 واليه ترجعون وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم
 ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون وذلكم ظنكم
 الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين » . من سورة
 حم السجدة . وفي هذه الآية اخبار أن أهل الجاهلية كانوا يلحدون
 في صفاته كما كانوا يلحدون في اسمائه تعالى . أخرج أحمد والبخاري
 ومسلم والترمذي والنسائي وجماعة عن ابن مسعود^(١) قال : كنت

(١) في الاصل « أبي مسعود » وهو خطأ صححناه من فتح الباري (٨ : ٢٩٧)
 وتيسير الوصول (١ : ١٧٤) سلفية

مستنداً بأستار الكعبة فجاء ثلاثة نفر قرشي وثقفيان أو ثقفني
 وقرشيان كثير لحم بطونهم قليل عفة قلوبهم فتكلموا بكلام لم
 أسمعهم . فقال أحدهم : أترون الله يسمع كلامنا هذا ؟ فقال الآخر
 إنا إذا رفعنا أصواتنا يسمعه وإذا لم نرفع لم يسمع . فقال الآخر :
 إن سمع منه شيئاً سمعه كله . قال فذكرت ذلك للنبي ﷺ فأنزل
 الله تعالى « وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا
 جلودكم ولكن ظننتم أن الله يعلم كثيراً مما تعملون — الى قوله —
 من الخاسرين » . فهذا هو الاتحاد في الصفات . وأنت تعلم أن
 ما عليه أكثر المتكلمين المسلمين من الاتحاد في الاسماء والصفات
 فوق ما كان عليه أهل الجاهلية فسموا الله بأسماء ما أنزل الله بها
 من سلطان . ومنهم من قال ليس لله صفات قامت به ، ومنهم من
 قال صفاته ليست عين ذاته ولا غيره ، ومنهم من قال ان صفاته
 غيره ، ومنهم من قال ان الله لم يتكلم بالكتب التي أنزلها وأثبتوا له
 الكلام النفسي وأنه لم يكلم أحداً من رسله ، الى غير ذلك من
 الاتحاد الذي حشوا به كتبهم وملاوها من هذا الهذيان وظنوا أن
 الآية مختصة بأهل الجاهلية وما دروا أنهم الفرد الكامل لعمومها
 ومن بصره الله تعالى ونور قلبه أعرض عن أخذ عقائده من كتب
 هؤلاء الطوائف وتلقى معرفة إلهه من كتب السلف المشتملة على
 نصوص الكتاب والسنة

﴿نسبة النقائص الى الله سبحانه﴾

﴿الثلاثون﴾ : نسبة النقائص اليه سبحانه كالولد والحاجة فان
 النصارى قالوا : المسيح ابن الله ، وطائفة من العرب قالوا : الملائكة
 بنات الله ، وقوم من الفلاسفة قالوا بتوليد العقول ، وقوم من اليهود
 قالوا العزيز ابن الله الى غير ذلك . وقد نزه الله نفسه عن كل ذلك
 ونفاه عنه بقوله تعالى « قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد
 ولم يكن له كفواً أحد » وبقوله « الا انهم من افكمهم يقولون ولد
 الله وانهم لكاذبون » وقوله « وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم
 وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون بديع
 السماوات والأرض أتى يكون له ولد ولم يكن له صاحبة وخلق كل
 شيء وهو بكل شيء عليم » وهذا يعم جميع الانواع التي
 تذكر في هذا الباب عن بعض الامم كما أن ما نفاه من اتخاذ الولد
 يعم أيضاً جميع أنواع الاتخاذات لا اصطفاؤه كما قال تعالى « وقالت
 اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ، قل فلم يعذبكم بذنوبكم
 بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله ملك
 السماوات والأرض وما بينهما واليه المصير » قال السدى : قالوا ان
 الله تعالى أوحى الى اسرائيل ان ولدك بكرى من الولد فأدخلهم
 النار فيكونون فيها أربعين يوماً حتى تطهرهم وتأكل خطاياهم ثم ينادي

مناد اخرجوا كل مختون من بني اسرائيل وقد قال الله تعالى
« ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من آله » وقال « وقل الحمد لله
الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من
الذل » وقال تعالى « تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون
للعالمين نذيراً الذي له ملك السماوات والارض ولم يتخذ ولداً
ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديراً » وقالوا
اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول
وهم بأمره يعملون . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون
إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم اني آله من
دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين » وقال سبحانه
وتعالى « وقال الله لا تتخذوا آلهين اثنين انما هو آله واحد قايي
فارهبون وله ما في السماوات والارض وله الدين واصبا » الى قوله
« ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا » الى قوله « ويجعلون لله البنات
سبحانه ولهم ما يشتهون » وقال الله تعالى « ولا تجعل مع الله الها
آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً . أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من
الملائكة اناثاً انكم لتقولون قولاً عظيماً . ولقد صرفنا في هذا
القرآن ليدذكروا وما يزيدهم الا نفوراً » « قل لو كان معه آلهة كما
يقولون اذاً لا بتفوا الى ذي العرش سبيلاً » وقال « فاستفتهم الربك
البنات ولهم البنون ، أم خلقنا الملائكة اناثاً وهم شاهدون الا انهم

من افكهم ليقولون وكلد الله وانهم لكاذبون اصطفى البنات على
البنين ما لكم كيف تحكمون . أفلا تذكرون . أم لكم سلطان مبين
فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين . وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد
علمت الجنة انهم لمحضرون . سبحان الله عما يصفون الا عباد الله
المخلصين فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين الا من هو صالح
الجبهم » وقال « أفرايتم الآلات والعزى ومناة الثالثة الأخرى
ألكم الذكر وله الأنثى . تلك اذا قسمة ضيزى ان هي الا أسماء
سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان يتبعون
الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى - الى
قوله - ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية
الآتى » وقال تعالى « وجعلوا له من عباده جزءا » قال بعض
المفسرين جزءا أي نصيبا وبعضا ، وقال بعضهم : جعلوا لله
نصيبا من الولد . وعن قتادة ومقاتل عدلا ، وكلا القولين صحيح
فانهم يجعلون له ولداً والولد يشبه أباه ، ولهذا قال « واذا بشر
أحدهم بما ضرب الرحمن مثلا ظل وجهه مسودا » أي البنات كما قال
في الآية الأخرى « واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا
وهو كظيم » فقد جعلوها للرحمن مثلا وجعلوا له من عباده جزءاً
فان الولد جزء من الوالد قال صلى الله عليه وسلم « انما فاطمة بضعة مني » وقوله :
« وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير

علم « قال السكبي نزلت في الزنادقة قالوا ان الله وابليس شريكان
 فالله خالق النور والناس والدواب ، وابليس خالق الظلمة
 والسباع والحيات والعقارب . وأما قوله « وجعلوا بينه وبين الجنة
 نسباً » فقيل : هو قولهم الملائكة بنات الله وسمى الملائكة جنّاً
 لاختفائهم عن الابصار وهو قول مجاهد وقادة . وقيل قالوا
 لحي من الملائكة يقال لهم الجن ومنهم ابليس : هم بنات الله .
 وقال السكبي قالوا لعنهم الله بل بذور يخرج منها الملائكة وقوله
 « خرقوا له بنين وبنات بغير علم » قال بعض المفسرين : هم كفار
 العرب قالوا الملائكة والاصنام بنات الله ، واليهود قالوا عزير ابن
 الله والذين كانوا يقولون من العرب ان الملائكة بنات الله وما
 نقل عنهم من أنه صاهر الجن فولدت له الملائكة فقد نفاه عنه
 بامتناع صاحبة وبامتناع أن يكون منه جزء فانه صمد . وقوله « ولم
 يكن له صاحبة » وهذا لأن الولادة لا تكون الا من أصلين سواء
 في ذلك تولد الاعيان - التي تسمى الجواهر - وتولد الاعراض
 والصفات ، بل ولا يكون تولد الاعيان الا بانفصال جزء من الوالد
 فاذا امتنع أن تكون له صاحبة امتنع أن يكون له ولد ، وقد علموا
 كلهم أن لا صاحبة له لا من الملائكة ولا من الجن ولا من
 الانس فلم يقل أحد منهم ان له صاحبة فلهذا احتج بذلك عليهم .

وما حكى عن بعض كفار العرب أنه صاهر الجن فهذا فيه نظر
وذلك ان كان قد قيل فهو مما يعلم انتفاؤه من وجوه كثيرة ، وكذلك
ما قالته النصارى من أن المسيح ابن الله وما قاله طائفة من اليهود
ان العزيز ابن الله فانه قد نفاه سبحانه بهذا وبهذا . وتمام الكلام في
هذا المقام في كتاب (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) و(تفسير
سورة الاخلاص) وغيرهما من كتب شيخ الاسلام تقي الدين
قدس الله روحه

﴿ تنزيه المخلوق عما نسبوه للخالق ﴾

﴿ المسألة الحادية والثلاثون ﴾ : تنزيه المخلوق عما نسبوه
للخالق مثل تنزيه احوارهم عن الولد والزوجة لأنهم يقولون ان
الراغبين في استحصال الكمالات كالرهبان واضرابهم يترفعون
عن أن يتدنسوا بدناءة التمتع بالنساء اقتداء بالمسيح عليه السلام .
فانظر الى سخافة العقول وما قادم اليه ضلالهم حتى اعترضوا على
سيدنا ومولانا محمد ﷺ في زواجه . وما أحسن ما قال الفاروقي^(١)
رداً على بعض احوار النصارى بقوله :

قل للفرس قلدة الرهبان الجاثليق البترك الرباني
أنت الذي زعم الزواج نقيصة ممن حماه الله عن نقصان

(١) عبد الباقي العمري من شعراء العراق في القرن الثالث عشر الهجري

ونسبت تزويج الآله بمریم في زعم كل مثلث نصراني
ومن جعل من العرب الملائكة بنات الله كان يأنف منهن
وسن وأدهن وقتلن ونسبوا لله ما يكرهون . والمقصود ان هذه
المقالات وأشباهاها منشأها الجهل بما جاءت به الرسل وعدم تحكيم
العقل والأفاهل البصائر لا يتطرق اليهم هذا الخلل والله الموفق
﴿ قولهم بالتعطيل ﴾

﴿ الثانية والثلاثون ﴾ : القول بالتعطيل كما كان يقوله آل
فرعون . والتعطيل انكار أن يكون للعالم صانع كما قال فرعون لقومه
« ما علمت لكم من إله غيري » ونحو ذلك ولم يخل العالم عن مثل
هذه الجهالات في كل عصر من العصور ، وابناء هذا الزمان الا
النادر على هذه العقيدة الباطلة ، ولو نظروا بعين الانصاف والتدبر
لعلموا أن كل موجود في العالم يدل على خالقه وبارئه :

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

ومن أين للطبيعة ايجاد مثل هذه الدقائق التي نجدها في
الآفاق والأنفس وهي عديمة الشعور لا علم لها ولا فهم . تعالى الله
عما يقولون علواً كبيراً

﴿ الشراكة في الملك ﴾

﴿ الثالثة والثلاثون ﴾ : الشراكة في الملك كما تقوله المجوس .

والمجوس أمة تعظم الانوار والنيران والماء والأرض ويقرون بنبوة
 زرادشت ولهم شرائع يصيرون اليها . وهم فرق شتى منهم المزدكية
 اصحاب مزدك الموبذ والموبذ . عندهم العالم القدوة ، وهؤلاء
 يزون الاشتراك في النساء والمكاسب كما يشترك في الهواء
 والطرق وغيرها . ومنهم الخرمية اصحاب مالك الخرمي وهم شر
 طوائفهم لا يقرون بصانع ولا معاد ولا نبوة ولا حلال ولا حرام
 وعلى مذهبهم طوائف القرامطة والاسماعيلية والنصيرية والنسكية
 والورزية والحاكية وسائر العبيدية الذين يسمون أنفسهم الفاطمية
 فكل هؤلاء يجمعهم هذا المذهب ويتفانون في التفضيل . فالمجوس
 شيوخ هؤلاء كلهم وأئمتهم وقادتهم وان كان المجوس قد يتقيدون
 بأصل دينهم وشرائعهم وهؤلاء لا يتقيدون بدين من ديانات العالم
 ولا بشرعية من الشرائع

﴿ انكار النبوات ﴾

﴿ الرابعة والثلاثون ﴾ : انكار النبوات . وكانوا يقولون ما
 حكى الله عنهم بقوله في الانعام : اولئك الذين هدى الله فبهداهم
 اقتده قل لا اسألكم عليه أجراً ان هو الا ذكرى للعالمين . وما
 قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء . قل
 من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس فجعلونه
 قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم

قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون « تفسير هذه الآية قوله « وما قدروا الله » شروع في تقرير أمر النبوة بعد ما حكى سبحانه عن ابراهيم عليه السلام أنه ذكر دليل التوحيد وابطال الشرك وقرر سبحانه ذلك بأوضح الدلائل بأوضح وجه « حق قدره » أي حق معرفته . وعن بعضهم ما عظموا الله حق تعظيمه إذ قالوا منكرين لبعثة الرسل وانزال الكتب كافرين بنعمه الجليلة فيهما « ما أنزل الله على بشر من شيء » أي شيئاً من الاشياء . واختلف في قائلي ذلك القول الشنيع ، فمن مجاهد أنهم مشركو قريش والجمهور على أنهم اليهود . ومرادهم من ذلك الطعن في رسالته ﷺ على سبيل المبالغة ، ف قيل لهم على سبيل الالزام « قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى » فان المراد أنه تعالى قد أنزل التوراة على موسى عليه السلام ولا سبيل لكم الى انكار ذلك ، فلم لا تجوزون انزال القرآن على محمد ﷺ . والاسكلام في اثبات النبوات مفصل في غير هذا الموضع . والمقصود ان انكارها من سنن الجاهلية ، وفي الناس اليوم كثير ممن هو على شاكلتهم ومعوج طريقهم

﴿ جحودهم القدر واحتجاجهم به على الله ﴾

﴿ الخامسة والثلاثون ﴾ : جحود القدر والاحتجاج به على الله

تعالى ومعارضة شرع الله بقدر الله . وهذه المسألة من غوامض مسائل الدين والوقوف على سرها عسر إلا على من وفقه الله تعالى ، ولا ين

القيم كتاب جليل في هذا الباب سماه (شفاء العليل ، في القضاء والقدر والحكمة والتعليل) وقد أبطل الله سبحانه هذه العقيدة الجاهلية بقوله تعالى في آخر سورة الانعام «سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء . كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هو عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون إلا الظن وان أنتم الا تخرجون ، قل فله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين » تفسير هذه الآية « سيقول الذين اشركوا » حكاية لفن آخر من أباطيلهم « لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء » لم يريدوا بهذا الكلام الاعتذار عن ارتكاب القبيح إذ لم يعتقدوا قبح أفعالهم ، بل هم كما نطق به الآيات يحسبون انهم يحسنون صنعا وانهم انما يعبدون الاصنام ليقربوهم الى الله زلفى وان التحريم انما كان من الله عز وجل فما مرادهم بذلك الا الاحتجاج على أن ما ارتكبوه حق ومشروع ومرضى عند الله تعالى ، على أن المشيئة والارادة تساوي الأمر وتستلزم الرضا كما زعمت المعتزلة فيكون حاصل كلامهم ان ما نرتكبه من الشرك والتحريم وغيرهما تعلقت به مشيئة الله تعالى وارادته وكل ما تعلقت به مشيئته سبحانه وارادته فهو مشروع ومرضى عند الله تعالى . وبعد أن حكى سبحانه وتعالى ذلك عنهم رد عليهم بقوله عز من قائل « كذلك كذب الذين من قبلهم » وهم أسلافهم

المشركون . وحاصله أن كلامهم يتضمن تكذيب الرسل عليهم السلام وقد دلت المعجزة على صدقهم . أو نقول حاصله أن ما شاء الله يجب وما لم يشأ يمتنع ، وكل ما هذا شأنه فلا تكليف به لسكونه مشروطا بالاستطاعة فينتج أن ما ارتكبه من الشرك وغيره لم يتكلف بتركه ولم يبعث له نبي . فردّ الله تعالى عليهم بأن هذه كلمة صدق أريد بها باطل لأنهم أرادوا بها أن الرسل عليهم السلام في دعواهم البعثة والتكليف كاذبون . وقد ثبت صدقهم بالدلائل القطعية ، ولكون ذلك صدقاً أريد به باطل ذمهم الله تعالى بالتكذيب . ووجوب وقوع متعلق المشيئة لا ينافي صدق دعوى البعثة والتكليف لأنهما لاظهار المحجة وإبلاغ الحجة « حتى إذا ذاقوا بأسنا » أي نالوا عذابنا الذي أنزلناه عليهم بتكذيبهم وفيه إيحاء إلى أن لهم عذاباً مدخراً عند الله تعالى لأن الذوق أول ادراك الشيء . « قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا » أي هل لكم من علم بأن الأشراك وسائر ما أنتم عليه مرضي لله تعالى فتظهوره لنا بالبرهان ؟ وهذا دليل على أن المشركين أعم استوجبوا التوبيخ على قولهم ذلك لأنهم كانوا يهزءون بالدين ويبلغون رد دعوة الأنبياء عليهم السلام حيث قرع مسامعهم من شرائع الرسل عليهم السلام تفويض الأمور إليه سبحانه وتعالى ، فحين طالبوهم بالاسلام والتزام الأحكام احتجوا عليهم بما أخذوه من كلامهم مستهزئين بهم عليهم الصلاة والسلام

ولم يكن غرضهم ذكر ما ينطوي عليه عقدهم كيف لا والايمان بصفات
الله تعالى فرع الايمان به عز شأنه وهو عنهم مناط العيوق. « ان
تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرون » أي تكذبون على الله
تعالى « قل فله الحجة البالغة » أي البينة الواضحة التي بلغت غاية
المتانة والقوة على الاثبات والمراد بها في المشهور الكتاب والرسول
والبيان « فلو شاء لهداكم أجمعين » بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن
شاء هداية البعض الصارفين اختيارهم الى سلوك طريق الحق،
وضلال آخرين صرفوه الى خلاف ذلك. ومن الناس من ذكر
وجهاً آخر في توجيه ما في الآية، وهو ان الرد عليهم إنما كان
لاعتقادهم أنهم مسلمون اختارهم وقدرتهم وان اشراكهم إنما صدر
منهم على وجه الاضطراب وزعموا أنهم يقيمون الحجة على الله تعالى
ورسوله عليه الصلاة والسلام بذلك فرد الله تعالى قولهم في دعواهم
عدم الاختيار لأنفسهم وشبههم بمن اغتر قبلهم بهذا الخيال فكذب
الرسول واشرك بالله عز وجل واعتمد على انه إنما يفعل ذلك بمشيئة
الله تعالى ورام افحام الرسل بهذه الشبهة. ثم بين سبحانه أنهم
لا حجة لهم في ذلك وان الحجة البالغة له تعالى لا لهم ثم أوضح
سبحانه أن كل واقع واقع بمشيئته، وانه لم يشأ منهم الا ما صدر
عنهم وانه تعالى لو شاء منهم الهداية لاهتدوا أجمعون. والمقصود أن
يتمحض وجه الرد عليهم وتمتخلص عقيدة نفوذ السنة وعموم تغلقها.

بكل كائن عن الرد وينصرف الرد الى دعواهم سلب الاختيار
لأنفسهم وان اقامتهم الحجة بذلك خاصة واذا تدبرت الآية
وجدت صدرها دافعاً لصدور الجبرية وعجزها معجزاً للمعتزلة إذ
الأول مثبت أن للعبد اختياراً وقدرة على وجه يقطع حجته وعذره
في المخالفة والعصيان . والثاني مثبت نفوذ مشيئة الله تعالى في العبد
وأن جميع أفعاله على وفق المشيئة الالهية وبذلك تقوم الحجة البالغة
لأهل السنة على المعتزلة ، والحمد لله رب العالمين . ومنهم من وجه
الآية بأن مرادهم ردّ دعوة الانبياء عليهم السلام على معنى أن الله
تعالى شاء شركنا وأراد منا وأنتم نخالفون ارادته حيث تدعوننا
الى الإيمان ، فوبخهم سبحانه وتعالى بوجوه عدّة منها قوله سبحانه
« فله الحجة البالغة » فانه بتقدير الشرط أي اذا كان
الامر كما زعمتم « فله الحجة البالغة » ، وقوله سبحانه « فلو
شاء » بدل منه على سبيل البيان أي لو شاء لدل كلاً منكم ومن
نخالفكم على دينه فلو كان الامر كما تزعمون لكان الاسلام أيضاً
بالمشيئة فيجب أن لا تمنعوا المسلمين من الاسلام كما وجب بزعمكم
أن لا تمنعكم الانبياء عن الشرك فيلزمكم أن لا يكون بينكم وبين
المسلمين مخالفة ومعادة بل موافقة وموالاته . وحاصله أن ما خالف
مذهبكم من النحل يجب أن يكون عنكم حقاً لانه بمشيئة الله تعالى
فيلزم تصحيح الاديان المتناقضة . وفي سورة النحل « وقال الذين

اشرکوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا
 ولا حرمنا من دونه من شيء ، كذلك فعل الذين من قبلهم فهل
 على الرسل الا البلاغ المبين » الكلام على هذه الآية كالکلام
 على الآية السابقة ولا تراهم يتشبهون بالمشيئة الا عند انخزال الحجة
 ألا ترى كيف ختم بنحو آخر مجادلانهم في سورة الانعام في الآية
 السابقة ، وكذلك في سورة الزخرف وهو قوله تعالى « وجعلوا
 الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا أشهدوا خلقهم ستمكتب شهادتهم
 ويسألون . وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم ان
 هم الا بخرصون . أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون . بل
 قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون » ويكفي
 في الانقلاب ما يشير اليه قوله سبحانه « قل فله الحجة البالغة »
 والمراد بما حرموه السوائب والنجاسات وغيرها ، وفي تخصيص
 الاشتراك والتحريم بالنفي لانها أعظم وأشهر ما هم عليه . وغرضهم
 من ذلك تكذيب الرسول عليه الصلاة والسلام والطعن في الرسالة
 رأسا فان حاصله أي ما شاء الله يجب وما لم يشأ يمتنع ، فلو أنه
 سبحانه وتعالى شاء أن نوحده ولا نشرك به شيئا وتحلل ما أحله
 ولا نحرم شيئا مما حرمنا كما تقول الرسل وينقلونه من جهة تعالى
 لكان الامر كما شاء من التوحيد ونفي الاشتراك وتحليل ما أحله
 وعدم تحريم شيء من ذلك وحيث لم يكن كذلك ثبت انه لم يشأ

شيئاً من ذلك ، بل شاء ما نحن عليه وتحقق ان ما يقوله الرسل
عليهم السلام من تلقاء أنفسهم. فرد الله تعالى عليهم بقوله « كذلك
فعل الذين من قبلهم » من الأثم أي أشركوا بالله تعالى وحرّموا
من دونه ما حرّموا وجادلوا رسلهم بالباطل ليدحضوا به الحق « فهل
على الرسل الا البلاغ المبين » أي ليست وظيفتهم الا البلاغ للرسالة
الموضح طريق الحق والمظهر أحكام الوحي التي منها تحتم تعلق
مشيئته تعالى باهتداء من صرف قدرته واختياره الى تحصيل الحق
لقوله تعالى « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » وأما الجأؤهم
الى ذلك وتنفيذ قَوْلهم عليهم شاءوا أو أبوا كما هو مقتضى استدلالهم
فليس ذلك من وظيفتهم ولا من الحكمة التي يتوقف عليها التكليف
حتى يستدل بعدم ظهور آثاره على عدم حقيقة الرسل عليهم السلام
أو على عدم تعلق مشيئته تعالى بذلك ، فان ما يترتب عليه الثواب
والعقاب من الافعال لا بد في تعلق مشيئته تعالى بوقوعه من
مباشرتهم الاختيارية وصرف اختيارهم الجزئي الى تحصيله والا لكان
الثواب والعقاب اضطراريين . والكلام على هذه الآية ونحوها
مستوفى في تفسير روح المعاني وغيره . فجحود القدر والاحتجاج
به على الله ومعارضة شرع الله بقدره كل ذلك من ضلالات الجاهلية
والمقصود انه لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين فمن زلت
قدمه عن هذه الجادة كان على ما كان عليه أهل الجاهلية وهي الطريقة

التي ردت عليها الله سبحانه ورسوله ﷺ

﴿ مسبة الدهر ﴾

﴿ السادسة والثلاثون ﴾ : مسبة الدهر . كقولهم في سورة الجاثية « وما يهلكنا الا الدهر » وذلك أن الله تعالى أراد بيان أحكام ضلالهم والخنم على سمعهم وقلوبهم وجعل غشاوة على أبصارهم فحكى عنهم ما صدر عنهم بقوله سبحانه وتعالى « وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا » التي نحن فيها « نموت ونحيا » أي تموت طائفة ونحيا طائفة ولا حشر أصلاً . ومنهم من قال أن كثير آمن عبادة الأصنام كان يقول بالتناسخ ، وعليه فالمراد بالحياة إعادة الروح لبدن آخر « وما يهلكنا الا الدهر » أي طول الزمان . واسنادهم الاهلاك الى الدهر انكار منهم للملك الموت وقبضه الأرواح بأمر الله تعالى وكانوا يسندون الحوادث مطلقاً اليه لجهلهم انها مقدره من عند الله تعالى وأشعارهم لذلك مملوءة من شكوى الدهر ^(١) وهؤلاء معترفون

(١) مثل قول قائلهم :

كر الغداة ومر العشي

أشاب الصغير وافى الكبير

ومثل قول الآخر :

وطلوعها من حيث لا نعي

منع البقاء نقلب الشمس

وقول الآخر :

فؤادى في غشا من نبال

رماني الدهر بالارزاق حتى

نكسرت النصال على النصال

وكنت اذا اصابني سهام

والشعر في ذلك قديماً وحديثاً كثير

بوجود الله تعالى فهم غير الدهرية فانهم مع اسنادهم الحوادث الى
 الدهر لا يقولون بوجوده « سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً »
 والكل يقول باستقلال الدهر بالتأثير . وقد جاء النهي عن سب
 الدهر أخرج مسلم « لا يسب أحدكم الدهر ، فان الله هو الدهر » وفي
 رواية لآبي داود والحاكم قال الله عز وجل « يؤذيني ابن آدم يقول :
 يا خيبة الدهر ، فلا يقل أحدكم يا خيبة الدهر فاني أنا الدهر أغلب ليله
 ونهاره » وروى الحاكم أيضاً يقول الله عز وجل « استقرضت عبيدي
 فلم يقرضني وشتمني عبيدي وهو لا يدري يقول وادهراه وأنا الدهر »
 وروى البيهقي « لا نسبوا الدهر . قال الله عز وجل : انا الأيام
 والليالي أجدها وأبليها وآتي بملوك بعد ملوك » . ومعنى ذلك أن
 الله تعالى هو الآتي بالحوادث فاذا سببتم الدهر على انه فاعل وقع
 السب على الله عز وجل . « وما لهم بذلك من علم » أي ليس لهم
 بما ذكر من قصر الحياة على ما في الدنيا ونسبة الاهلاك الى الدهر
 علم مستند الى عقل أو نقل « ان هم الا يظنون » أي ما هم إلا قوم
 قصارى أمرهم الظن والتقليد من غير أن يكون لهم ما يصح أن
 يتمسك به في الجملة . وقد ذكرنا في غير هذا الموضع ما يتعلق
 بالدهريين ، والمقصود أن من يقول باسناد الحوادث الى غير الله
 تعالى كالدهر فذلك ليس له مستند عقلي ولا نقلي ، بل هو محض
 جهل وقائله جاهل في أي عصر كان . ولا أهل زماننا حظ وافر من

هذا الاعتقاد الباطل : والله المستعان

﴿ إضافة نعم الله الى غيره ﴾

﴿ السابعة والثلاثون ﴾ : إضافة نعم الله الى غيره . قال الله تعالى في سورة النحل « يعرفون نعمه الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون » وقد عدد الله تعالى نعمه على عباده في هذه السورة الى أن قال « وجعل لكم من الجبال أكنانا ، وجعل لكم ممرابيل تقيمكم الحر ومراييل تقيمكم بأسمكم ، كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون . فان تولوا فإنا على البلاغ المبين . يعرفون نعمه الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون » فقله « يعرفون نعمه الله » الخ استئناف لبيان أن تولى المشركين وإعراضهم عن الاسلام ليس لعدم معرفتهم نعمه الله سبحانه وتعالى أصلا فانهم يعرفونها أنها من الله تعالى ثم ينكرونها بأفعالهم حيث لم يفرّدوا منعها بالعبادة فكانهم لم يعبدوه سبحانه وتعالى أصلا ، وذلك كفران منزل منزلة الانكار . وأخرج ابن جرير وغيره عن مجاهد انه قال : انكارهم اياها قولهم : ورثناها من آبائنا . وأخرج هو وغيره أيضا عن عون ابن عبد الله انه قال : انكارهم اياها أن يقول الرجل : لولا فلان أصابني كذا وكذا ، ولولا فلان لم أصب كذا وكذا . وفي لفظ : انكارها اضافتها الى الاسباب . وبعضهم يقول : انكارهم قولهم هي بشفاعه آلتهم عند الله تعالى . ومنهم من قال : النعمة هنا محمد

سَلَّمَ أَي يَعْرِفُونَ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ نَبِيَّ بِالْمُعْجَزَاتِ ثُمَّ يَنْكُرُونَ ذَلِكَ وَيَجْحَدُونَهُ عِنَادًا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ» أَيِ الْمُنْكَرُونَ بِقُلُوبِهِمْ غَيْرِ الْمَعْتَرِفِينَ بِمَا ذَكَرَ. وَالتَّعْيِيرُ بِالْأَكْثَرِ إِمَّا لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا الْحَقَّ لِنَقْصَانِ عَقْلِهِ وَعَدَمِ اهْتِدَائِهِ إِلَيْهِ، أَوْ لِعَدَمِ نَظَرِهِ فِي الْأَدَلَّةِ نَظْرًا يُوْدِي إِلَى الْمَطْلُوبِ، أَوْ لِأَنَّهُ لَمْ تَقُمْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ لَكُونِهِ لَمْ يَصِلْ إِلَى حَدِّ الْمَكْلُوفِينَ لَصُغَرِهِ وَنَحْوِهِ، وَإِمَّا لِأَنَّهُ يَقَامُ مَقَامَ السَّكَلِ فَاسْنَادُ الْمَعْرِفَةِ وَالْإِنْكَارِ الْمَتَفَرِّعُ عَلَيْهَا إِلَى ضَمِيرِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى الْإِطْلَاقِ مِنْ بَابِ اسْنَادِ حَالِ الْبَعْضِ إِلَى السَّكَلِ

وَمَا يَجْرِي هَذَا الْمَجْرَى قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْوَاقِعَةِ «أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُذْهَبُونَ. وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ» أَيِ تَقُولُونَ مَطَرُنَا بَنُو كَذَا وَكَذَا. رَوَى مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَطَرُ النَّاسِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ وَمِنْهُمْ كَافِرٌ. قَالُوا: هَذِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَّقَ نَوْهُ كَذَا فَتَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ «فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ» حَتَّى بَلَغَ «وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ» إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآثَارِ. وَالْمَقْصُودُ أَنَّ اسْنَادَ النِّعَمِ إِلَى غَيْرِ مُنْعِمِهَا الْحَقِيقِيِّ كُفْرَانٌ لَهَا. وَقَدْ ذَكَرْنَا مَذْهَبَ الْعَرَبِ فِي الْأَنْوَاءِ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ وَفَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا، وَذَكَرْنَا شَعْرَهُمُ الدَّالَّ عَلَى مَذْهَبِهِمْ هَذَا. وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ

﴿ الكفر بآيات الله ﴾

﴿ الثامنة الثلاثون ﴾ : الكفر بآيات الله . والنصوص الدالة على ذلك في القرآن كثيرة منها قوله تعالى في الكهف « أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً . ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا » بعد قوله سبحانه « هل أنبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . أولئك » الخ فقوله أولئك كلام مستأنف منه مسوق لتكميل تعريف الأخسرين وتبيين خسرتهم وضلال سعيهم وتعيينهم بحيث ينطبق التعريف على المخاطبين . أي أولئك المنعوتون بما ذكر من ضلال السعي والحسبان المذكور « الذين كفروا بآيات ربهم » بدلائله سبحانه الداعية إلى التوحيد الشاملة للسمعية والعقلية « ولقائه » هو كناية عن البعث والحشر وما يتبع ذلك من أمور الآخرة ، أي لم يؤمنوا بذلك على ما هو عليه « فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً » أي فتزدي بهم ونحتقرهم

ومن النصوص ما يدل على أن منهم من كان ينكر بعض الآيات ، ومنهم من كان معرضاً عنها وهاجراً لها . ولا يخفى عليك

أن من الناس اليوم من هو أدهى وأمر مما كان عليه أهل الجاهلية في
هذا الباب

﴿ اختيار كتب الباطل ونبد آيات الله ﴾

﴿ التاسعة والثلاثون ﴾ : اشترأ كتب الباطل واختيارها
عليها ، أي على الآيات . قال تعالى « ولقد أنزلنا إليك آيات بينات
وما يكفر بها إلا الفاسقون . أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم
بل أكثرهم لا يؤمنون ، ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما
معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم
كانهم لا يعلمون . واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان - إلى
قوله - ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه
ماله في الآخرة من خلاق ولبئسما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون .
ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون »
ومعنى قوله « ولقد علموا لمن اشتراه » أي استبدل ما تتلو
الشياطين بكتاب الله « ماله في الآخرة من خلاق » أي نصيب
« ولبئسما شروا به أنفسهم » أي والله لبئس شيطاناً شروا به حظوظ
أنفسهم أي باعوها أو شروها في زعمهم ذلك الشراء ولو أنهم آمنوا
أي بالرسول أو بما أنزل إليه من الآيات أو بالتوراة « واتقوا »
أي المعاصي التي حكيبت عنهم « لمثوبة من عند الله خير لو كانوا

يعلمون « أي أن ثواب الله تعالى خير لهم. وبمعنى هذه الآية قوله تعالى « ومنهم أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ الْإِظْنُونَ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ » وهذه الآية نزلت في أحبار اليهود الذين خافوا أن تذهب ربائهم بابقاء صفة النبي ﷺ على حالها فغيروها

﴿القدح في حكمة الله تعالى﴾

﴿الأربعون﴾ : القدح في حكمته تعالى . أقول : من خصال الجاهلية القدح في حكمته تعالى وأنه ليس بحكيم في خلقه بمعنى أنه سبحانه يخلق مالا حكمة له فيه ، ويأمر وينهى بمالا حكمة فيه ، وقد حكى الله تعالى ذلك بقوله في سورة ص « وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من عذاب النار » وقال سبحانه في سورة المؤمنين « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم ألينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق » وفي سورة الدخان « وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون » وفي سورة الأنبياء « وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين » وفي

سورة الحجر « وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق
وان الساعة لا توبة فاصفح الصفح الجميل » الى غير ذلك من الآيات
الناصة على أن الله تعالى لم يخلق شيئاً من غير حكمة ولا علة على
خلاف ما يعتقد أهل الباطل من الجاهليين ومن نحائهم من هذه
الأمّة ممن نفى الحكمة عن أفعاله سبحانه وتعالى . وهذه مسألة طويلة
الذيل قد كثرت فيها الخصام بين فرق المسلمين ، والحق ما كان عليه
السلف من اثبات الحكمة والتعليل . وقد أطنب الكلام عليها
الحافظ ابن القيم في كتابه (شفاء العليل) في مسائل القضاء والقدر
والحكمة والتعليل ، وعقد باباً مفصلاً في طرق اثبات حكمة الرب
تعالى في خلقه وأمره واثبات الغايات المطلوبة والعواقب الحميدة
التي فعل وأمر لأجلها . ومن جملة ما قال في هذا الباب : انه سبحانه
وتعالى أنكر على من زعم انه لم يخلق الخلق لغاية ولا حكمة كقوله
« أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً » وقوله « أبحسب الإنسان أن يترك
سدى » وقوله « وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا عيين
ما خلقناهما إلا بالحق » والحق هو الحكم والغايات الحمودة التي
لأجلها خلق ذلك كله ، وهو أنواع كثيرة : منها أن يعرف الله
بأسمائه وصفاته وأفعاله وآياته . ومنها أن يحب ويعبد ويشكر ويذكر
ويطاع . ومنها أن يأمر وينهى وبشرع الشرائع . ومنها أن يدبر
الأمر ويهرم القضاء ويتصرف في المملكة بأنواع التصرفات .

ومنها أن يثيب ويعاقب فيجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته
 فيكون أثر عدله وفضله موجوداً مشاهداً فيحمد على ذلك ويشكره
 ومنها أن يعلم خلقه انه لا إله غيره ولا رب سواه . ومنها أن يصدق
 الصادق فيكرمه ويكذب الكاذب فيهيئه . ومنها ظهور آثار أسمائه
 وصفاته على تنوعها وكثرتها في الوجود الذهني والخارجي فيعلم
 عباده ذلك علماً مطابقاً لما في الواقع . ومنها شهادة مخلوقاته كلها بأنه
 وحده ربها وخالقها ومليكها وانه وحده آلهها ومعبودها . ومنها
 ظهور أثر كماله المقدس فان الخلق والصنع لازم كماله فانه حي قدير
 ومن كان كذلك لم يكن إلا فاعلاً مختاراً . ومنها أن يظهر أثر حكمته
 في المخلوقات بوضع كل منها في موضعه الذي يليق به ومجيئه على
 على الوجه الذي تشهد العقول والفطر بحسنه فتشهد حكمته الباهرة .
 ومنها انه سبحانه يحب أن يحود وينعم ويعفو ويفر ويسامح ولا بد
 من لوازم ذلك خلقاً وشرعاً . ومنها انه يحب أن يثنى عليه ويمدح
 ويمجد ويسبح ويعظم . ومنها كثرة شواهد ربوبيته ووحدانيته
 والهيته . الى غير ذلك من الحكم التي تضمنها الخلق . فخلق مخلوقاته
 بسبب الحق ولأجل الحق وخلقها ملتبس بالحق وهو في نفسه حق
 فمصدره حق وغايته حق وهو يتضمن الحق وقد أثبت على عباده
 المؤمنين حيث نزهوه عن إبداع الخلق لا شيء . ولا لغاية فقال
 تعالى « ان في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار

لآياتٍ لأولى الالباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض . ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه » وأخبر أن هذا ظن أعدائه لا ظن أو ليائه فقال « وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا » . وكيف يتوهم أنه عرفه من يقول انه لم يخلق لحكمة مطلوبة له ولا أمر لحكمة ولا نهى لحكمة وإنما يصدر الخلق والأمر عن مشيئة وقدرة محضة لا لحكمة ولا لغاية مقصودة وهل هذا الانكار لحقيقة حمده بل الخلق والأمر إنما قام بالحكم والغايات فهما مظهران لحمده وحكمته فانكار الحكمة انكار لحقيقة خلقه وأمره فإن الذي أثبتته المنكرون من ذلك ينزه عنه الرب ويتعالى عن نسبته اليه فانهم أثبتوا خلقاً وأمرّاً لا رحمة فيه ولا مصلحة ولا حكمة ، بل يجوز عندهم أو يقع أن يأمر بما لا مصلحة له بكلف فيه البتة وينهى عما فيه مصلحة والجميع بالنسبة اليه سواء ويجوز عندهم أن يأمر بكل ما نهى عنه وينهى عن جميع ما أمر به ولا فرق بين هذا وهذا إلا بمجرد الامر والنهي . ويجوز عندهم أن يعذب من لم يعصه طرفه عين ويثيب من عصاه بل أفنى عمره في الكفر به والشرك والظلم والفجور فلا سبيل الى أن يعرف خلاف ذلك منه

الا بنخب الرسول والا فهو جائز عليه . وهذا من أقبح الظن وأسوئه
بالرب سبحانه وتنزيهه عنه كتزويه عن الظلم والجور بل هذا هو
عين الظلم الذي يتعالى الله عنه . والعجب العجيب ان كثيراً من
أرباب هذا المذهب ينزهونه عما وصف به نفسه من صفات
الكمال ونعوت الجلال ويزعمون ان اثباتها تجسيم وتشبيه ، ولا
ينزهونه عن هذا الظلم والجور ويزعمون أنه عدل وحق ، وأن
التوحيد عندهم لا يتم الا به كما لا يتم الا بانكار استوائه على
عرشه وعلوه فوق سماواته وتكلمه وتكليمه وصفات كماله فلا
يتم التوحيد عند هذه الطائفة الا بهذا النفي وذلك الاثبات والله
ولي التوفيق . انتهى المقصود من نقله وتمام الكلام في هذا
الباب من ذلك الكتاب واليه سبحانه المآب

﴿ الكفر بالملائكة والرسل والتفريق بينهم ﴾

﴿ الحادية والاربعون ﴾ : الكفر بالملائكة والرسل والتفريق
بينهم . قال تعالى « ولقد آتينا موسى الكتاب وقفيناً من بعده
بالرسل وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس
أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم
وفريقاً تقتلون وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما

يؤمنون ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين بسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغياً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباؤا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا أنؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل أن كنتم مؤمنين - إلى أن قال - قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بأذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين من كان عدواً لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكل فإن الله عدو للكافرين ولقد أنزلنا إليكم آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون » فقد تبين من هذه الآيات أن بعض الكتابيين كانوا يكفرون بالملائكة والرسول ويفرقون بينهم أي يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض وهم طائفة من جاهلية اليهود ولهذا أمرنا الله تعالى بالإيمان بهم وعدم التفرقة بينهم فقال « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته ورسوله لا نفرق بين أحد من رسوله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير

﴿ الغلو في الانبياء والرسل ﴾

﴿ الثانية والاربعون ﴾ : الغلو في الانبياء والرسل عليهم السلام . قال تعالى في سورة النساء « يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكتبته ألقاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم انما الله واحد سبحانه أنى يكون له ولد » والغلو في المخلوق أعظم سبب لعبادة الاصنام والصالحين كما كان في قوم نوح من عبادة نسر وسواع ويغوث ونحوهم وكما كان من عبادة النصارى للمسيح عليه السلام ومثل ذلك القول على الله بغير الحق

﴿ الجدل بغير علم ﴾

﴿ الثالثة والاربعون ﴾ : الجدل بغير العلم كما ترى كثيراً من أهل الجهل يجادلون أهل العلم عند نهيمهم عما ألفوه من البدع والضلالات . وهي صفة جاهلية نهانا الله تعالى عن التخلق بها قال تعالى في سورة آل عمران « يا أهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون . ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله

يعلم وأنتم لا تعلمون» أخرج ابن اسحق وابن جرير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : اجتمعت نصارى نجران واحبار يهود عند رسول الله ﷺ فتنازعوا عنده فقالت الاحبار : ما كان ابراهيم الا يهودياً وقلت النصارى ما كان ابراهيم الا نصرانياً فانزل الله فيهم هذه الآية المنادية على جباههم وعنادهم كما لا يخفى على من راجع التفسير

﴿الكلام في الدين بلا علم﴾

قال الشيخ (الرابعة والاربعون) : الكلام في الدين بلا علم . أقول أجمل الشيخ رحمه الله تعالى الكلام في هذه المسألة كل الاجمال كما فعل مثل ذلك في كثير من المسائل وما أحقها بالتفصيل وذلك أن أهل الجاهلية من العرب وغيرهم من الكتابيين شرعوا في الدين ما لم يأذن به الله أما العرب فقد كان الكثير منهم على دين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام الى أن ظهر فيهم الخزاعي^(١) فغير و بدل وابتدع بدعاً كثيرة وأغرى العرب على عبادة الأصنام وبجر البحيرة وحمى الحام واستقسم بالازلام الى غير ذلك مما فضلنا في غير هذا الموضع وان شئت أن تعرف جهل العرب

(١) هو عمرو بن لحي وكان الحجازيون يتخذونه رباً في امتثال امره وطاعته والانتها

عما ينهى عنه

وما ابتدعوه فاقراً سورة الانعام فان فيها كثيراً من ضلالتهم
ومبتدعاتهم . وأما الجاهليون من اليهود والنصارى فقد اتخذوا
أخبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وذلك ان
أخبارهم ورهبانهم ابتدعوا لهم في الدين بدعاً وحلوا وحرّموا ما
اشتبهت أنفسهم فقبلوا ذلك منهم وأطاعوهم عليه مع أن الدين إنما
يكون بتشريع الله ووحيه الى أنبيائه ورسله عليهم السلام ولا
يكون بأراء الرجال وبحسب أهوائهم فكل ما لا دليل عليه من
كتاب ولا سنة مردود على صاحبه . وقد ذم الله تعالى اليهود على
مثل ذلك فقال عز اسمه في سورة آل عمران « وان منهم لفريقاً
يلوون السننهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من
الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون
على الله الكذب وهم يعلمون » فمن أول نصوص الكتاب
والسنة على حسب شهواته وبمقتضى هواه فهو أيضاً من قبيل
الذين يلوون السننهم بالكتاب وأنت تعلم ما اشتمل عليه اليوم
كثير من كتب الشريعة من الآراء التي ليس لها مستند من
دلائل الشريعة . فالى الله المشتكى من صولة الباطل وخمول الحق

﴿ الكفر باليوم الآخر ﴾

﴿ الخامسة والأربعون ﴾ : الكفر باليوم الآخر والتكذيب بلقاء الله وبعث الأرواح وبيع بعض ما ذكرته الرسل من صفات الجنة والنار قال تعالى في سورة الكهف « قل هل أنبئكم بالآخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقاءه » الآية . وقد مر الكلام عليها قريبا . وقال تعالى في سورة النحل « وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعداً عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون لنبيين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين » الى غير ذلك من النصوص الواردة في ذلك كله . ولقوم عصرنا من هذا الاعتقاد الجاهلي حظ وافر ونصيب كامل ومن يضل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون . نسأله تعالى التوفيق لهداية

﴿ التكذيب بآية مالك يوم الدين ﴾

﴿ السادسة والأربعون ﴾ : التكذيب بقوله تعالى « مالك يوم الدين » وهو اليوم الذي يدين الله تعالى العباد فيه بأعمالهم فيثيبهم على الخيرات ويعاقبهم على المعاصي والسيئات والتكذيب

بهذا اليوم متفرع على انكار البعث والحساب والجنة والنار

﴿ التّكذيب بآية لا يبيع فيه ولا خلة ولا شفاعاة ﴾

﴿ السابعة والأربعون ﴾ : التّكذيب بقوله تعالى « لا يبيع فيه ولا خلة ولا شفاعاة » من قوله سبحانه « يا أيها الذين آمنوا اففقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي يوم لا يبيع فيه ولا خلة ولا شفاعاة والكافرون هم الظالمون » . والخلة المودة والصداقة ومعنى ولا شفاعاة أي لا أحد يشفع لأحد إلا من بعد ان يأذن الرحمن لمن يشاء ويرضى وأراد بذلك يوم القيامة والمراد من وصفه بما ذكر الإشارة الى أنه لا قدرة لأحد فيه على تحصيل ما ينتفع به بوجه من الوجوه لأن من في ذمته حق مثلاً إما ان يأخذ بالبيع ما يؤديه به وإما ان يعينه أصدقائه وإما ان يلتجئ الى من يشفع له في حظه والكل منتف . ولا مستعان إلا بالله عز وجل

﴿ الخطأ في فهم معنى الشفاعاة ﴾

﴿ الثامنة والأربعون ﴾ : التّكذيب بقوله تعالى في سورة الزخرف « ولا يملك الذين تدعون من دونه الشفاعاة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون » . قوله ولا يملك الذين تدعون أي ولا يملك

آلهم الذين يدعونهم من دونه الشفاعة كما زعموا أنهم شفعاؤهم
عند الله عز وجل إلا من شهد بالحق الذي هو التوحيد وهم يعلمون
أي يعلمونه والمراد بهم الملائكة وعيسى وعزير واضرابهم وأنت
ترى الناس اليوم عما كفين على أصنام لهم يدعونهم من دون
الله وعذرهم عند توبيخهم ان هؤلاء شفعاؤهم . تعالى الله
عما يشركون

﴿ قتل أولياء الله ﴾

﴿ التاسعة والأربعون ﴾ : قتل أولياء الله وقتل الذين يأمرون
بالقسط من الناس قال تعالى في سورة البقرة « وضربت عليهم
الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون
بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون »
وقال في سورة آل عمران « قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات
وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين » الى آيات أخرى في هذا
المعنى صرحت بما لاقاه الأنبياء والرسل عليهم السلام وأتباعهم
المخلصون ودعاة الحق ^(١) وبما كابدوه من أعداء الله والجهلة

(١) من ذلك ان الشيخ المصنف لاقى من ابناء زمانه كبيرهم وصغيرهم لما دعاهم الى
الله تعالى والتوحيد الذي جاءت به الرسل ما تهد له الصياصي وتشيب له النواصي كما لا يخفى
على من طالع سيرته الفسفة تقمده الله برحمته . ورضوانه

الطاعة مما تنهد له الصياصي وتبيض منه النواصي
هؤلاء أ كابر الأمة المحمدية وعلماءها الأعلام قد صادفوا
عند دعوتهم الى الحق والمحافظة عليه ما يسود منه وجه القرطاس
وتشيب منه لمم المداد والأنبياء صلوات الله عليهم وأتباعهم
المؤمنون وان كانوا يبتلون في أول الأمر فلعاقبة لهم كما قال تعالى
لما قص قصة نوح « تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت
تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين »
وفي الحديث المتفق على صحته لما أرسل النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم رسولا الى ملك الروم فطلب من يخبره بسيرته وكان
المشركون حينئذ أعداء لم يكونوا آمنوا به فقال كيف الحرب
بينكم وبينه ؟ قالوا : الحرب بيننا وبينه سجال يدال علينا المرة
وندال عليه الأخرى فقال كذلك الرسل تبلى وتكون لها العاقبة
فانه كان يوم بدر نصر الله المؤمنين ثم يوم أحد ابتلى المؤمنون ثم
لم ينصر الكفار بعدها حتى أظهر الله تعالى الاسلام . فان قيل
ففي الأنبياء من قد قتل كما أخبر الله تعالى في الآيات السابقة أن
بني اسرائيل يقتلون النبيين بغير الحق وفي أهل الفجور من
يؤتيه الله ملكا وسلطانا ويسلطه على المتدينين كما سلط بخت نصر

على بني اسرائيل وكما سلط كفار المشركين وأهل الكتاب
أحياناً على المسلمين . قيل أما من قتل من الأنبياء فهم من يقتل
من المؤمنين في الجهاد شهيداً قال تعالى « وكأين من نبي قاتل معه
ربون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما
استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم إلا ان قلوا ربنا
اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على
القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة
والله يحب المحسنين » ومعلوم أن من قتل من المؤمنين شهيداً في
القتال كان حاله أكمل من حال من يموت حتف أنفه قل تعالى
« ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند
ربهم يرزقون » ولهذا قال تعالى « قل هل تربصون بنا إلا إحدى
الحسينين » أي إما النصر والظفر وإما الشهادة والجنة ثم ان الدين
الذي قاتل عليه الشهداء ينتصر ويظهر فيكون لطائفته السعادة
في الدنيا والآخرة من قتل منهم كان شهيداً ومن عاش منهم كان
منصوراً سعيداً وهذا غاية ما يكون من النصر اذ كان الموت لا بد
منه فالموت على الوجه الذي يحصل به سعادة الدنيا والآخرة أكمل
بخلاف من يهلك هو وطائفته فلا يفوز لا هو ولا هم بمطلوبهم لا
في الدنيا ولا في الآخرة والشهداء من المؤمنين قاتلوا باختيارهم

وفعلوا الأسباب التي بها قتلوا كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهم اختاروا هذا الموت إما أنهم قصدوا الشهادة وإما أنهم قصدوا ما به يصيرون شهداء عالمين بأن لهم السعادة في الآخرة وفي الدنيا بانتصار طائفتهم وبقاء لسان الصدق لهم ثناء ودعاء ، بخلاف من هلك من الكفار فانهم هلكوا بغير اختيارهم هلاكا لا يرجون معه سعادة الآخرة ولم يحصل لهم ولا لطائفتهم شيء من سعادة الدنيا بل اتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المتبوحين وقيل فيهم « كم تركوا من جنات وعيون وزرع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قومًا آخرين فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين » وقد أخبر سبحانه أن كثيراً من الأنبياء قتل معه ربيون كثير أي ألوف كثيرة وأنهم ماضعفوا ولا استكانوا لذلك بل استغفروا من ذنوبهم التي كانت سبب ظهور العدو وأن الله تعالى آتاهم ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة . فإذا كان هذا قتل المؤمنين فما الظن بقتل الأنبياء ففيه لهم ولأتباعهم من سعادة الدنيا والآخرة ما هو من أعظم الفلاح . وظهور الكفار على المؤمنين أحياناً هو بسبب ذنوب المسلمين كيوم أحد فإن تابوا انتصروا على الكفار وكانت العاقبة لهم كما قد جرى مثل هذا للمسلمين في عامة ملاحمهم مع

الكفار وهذا من آيات النبوة وأعلامها ودلائلها فان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قاموا بعهوده ووصايا، نصرهم الله وأظهرهم على المخالفين له فاذا ضيعوا عهده ظهر أولئك عليهم فمدار النصر والظهور مع متابعة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وجوداً وعدمًا من غير سبب يزاحم ذلك ودوران الحكم مع الوصف وجوداً وعدمًا من غير مزاحمة وصف آخر يوجب العلم بأن المدار علة للدائر وقولنا من غير وصف آخر يزيل النقص الواردة فهذا الاستقراء والتتبع يبين أن نصر الله واظهاره هو بسبب اتباع النبي وأنه سبحانه يريد اعلاء كلمته ونصره ونصر أتباعه على من خالفه وان يجعل لهم السعادة ولمن خالفهم الشقاء وهذا يوجب العلم بنبوته وأن من اتبعه كان سعيداً ومن خالفه كان شقيماً . ومن هذا ظهور بخت نصر على بني اسرائيل فانه من دلائل نبوة موسى اذ كان ظهور بخت نصر انما كان لما غيروا عهود موسى وتركوا اتباعه فعوقبوا بذلك وكانوا اذ كانوا متبعين لعهود موسى منصورين مؤيدين كما كانوا في زمن داود وسليمان وغيرها قل تعالى « وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلمن علواً كبيراً فلما جاء وعد أولاهما بعثنا عليهم عبداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم

أكثر نفيراً ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوزا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علو تقبيرا عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا» فكان ظهور بني إسرائيل على عدوهم تارة وظهور عدوهم عليهم تارة من دلائل نبوة موسى صلى الله عليه وسلم وآياته . وكذلك ظهور أمة محمد صلى الله عليه وسلم على عدوهم تارة وظهور عدوهم عليهم تارة هو من دلائل رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وأعلام نبوته وكان نصر الله لموسى وقومه على عدوهم في حياته وبعد موته كما جرى لهم من يوشع وغيره من دلائل نبوة موسى وكذلك انتصار المؤمنين مع محمد صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد مماته مع خلفائه من أعلام نبوته ودلائلها وهذا بخلاف الكفار الذين يفتصرون على أهل الكتاب أحياناً فان أولئك لا يقولوا^(١) مطاعهم الى نبي ولا يقاتلون أتباع الانبياء على دين ولا يطلبون من أولئك أن يتبعوهم على دينهم بل قد يصرحون باننا انما نصرنا عليكم بذنوبكم وان لو اتبعتم دينكم لم ننصر عليكم وأيضاً فلا عاقبة لهم بل الله يهلك الظالم بالظالم ثم يهلك الظالمين جميعاً ولا قتلهم يطلب بقتله سعادة بعد الموت ولا يختارون القتل ليسعدوا بعد الموت . فهذا وأمثاله مما يظهر الفرق بين انتصار الانبياء وأتباعهم

(١) لله لا يكون

وبين ظهور بعض الكفار على المؤمنين أو ظهور بعضهم على بعض وبين أن ظهور محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وأمته على أهل الكتاب اليهود والنصارى هو من جنس ظهورهم على المشركين عباد الأوثان وذلك من اعلام نبوته ودلائل رسالته ليس هو كظهور بخت نصر على بني اسرائيل وظهور الكفار على المسلمين . وهذه الآية مما أخبر به موسى وبين أن الكذاب المدعى للنبوة لا يتم أمره وإنما يتم أمر الصادق فإن من أهل الكتاب من يقول محمد وأمته سلطوا علينا بذنوبنا مع صحة ديننا الذي نحن عليه كما سلط بخت نصر وغيره من الملوك وهذا قياس فاسد فإن بخت نصر لم يدع نبوة ولا قاتل على دين ولا طلب من بني اسرائيل ان يفتقلوا عن شريعة موسى الى شريعته فلم يكن في ظهوره اتمام لما ادعاه من النبوة ودعا اليه من الدين بل كان بمنزلة المحار بين قطاع الطريق اذا ظهروا على القوافل بخلاف من ادعى نبوة وديننا دعا اليه ووعد أهله بسعادة الدنيا والآخرة وتوعد مخالفيه بشقاوة الدنيا والآخرة ثم نصره الله وأظهره وأتم دينه وأعلى كلمته وجعل له العاقبة وأذل مخالفيه فان هذا من جنس خرق العادات المقترن بدعوى النبوة فانه دليل عليها وذاك من جنس خرق العادات المقترن بدعوى النبوة فانه ليس دليلا عليها

وقد يغرق في البحر أمم كثيرة فلا يكون ذلك دليلاً على نبوة نبي بخلاف غرق فرعون وقومه فإنه كان آية بينة لموسى وهذا موافق لما أخبر به موسى عليه الصلاة والسلام من أن الكذاب لا يتم أمره وذلك بأن الله حكيم لا يليق به تأييد الكذاب على كذبه من غير أن يبين كذبه . ولهذا أعظم الفتن فتنة الدجال الكذاب لما اقترن بدعواه الألوهية بعض الخوارق كان معها ما يدل على كذبه من وجوه . منها دعواه الألوهية وهو أعور والله ليس بأعور مكتوب بين عينيهِ كافر يقرؤه كل مؤمن قارئ وغير قارئ والله تعالى لا يراه أحد حتى يموت . وقد ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هذه العلامات الثلاث في الأحاديث الصحيحة فإن تأييد الكذاب ونصره وإظهار دعوته دائماً فهذا لم يقع قط فمن يستدل على ما يفعله الرب سبحانه بالعادة والسنة فهذا هو الواقع على ذلك أيضاً بالحكمة فحكمته تناقض أن يفعل ذلك إذ الحكيم لا يفعل هذا وقد قال تعالى « ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون ولياً ولا نصيراً » سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً » فأخبر أن سنة الله التي لا تبدل لها نصر المؤمنين على الكافرين والإيمان المستلزم لذلك يتضمن طاعة الله ورسوله . فإذا نقص الإيمان بالمعاصي كان الأمر بحسبه

كما جرى يوم أحد . وقال تعالى « وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءكم نذير ليكونن أأعدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفوراً استكباراً في الأرض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً » فأخبر أن الكفار لا ينظرون إلا سنة الأولين ولا يوجد لسنة الله تبديل لا تبديل بغيرها ولا تتحول فكيف النصر للكفار على المؤمنين الذين يستحقون هذا الاسم وكذلك قل في المنافقين وهم الكفار في الباطن دون الظاهر من فيه شعبة نفاق « لئن لم يفتنه المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً » والسنة هي العادة فهذه عادة الله المعلومة فإذا نصر من ادعى النبوة واتبعه على من خالفه إما ظاهراً وإما باطناً نصراً مستقراً فإن ذلك دليل على أنه نبي صادق إذ كانت سنة الله وعادته نصر المؤمنين بالأنبياء الصادقين على الكافرين والمنافقين كما أن سنته تأييدهم بالآيات البينات وهذه منها ومن ادعى النبوة وهو كاذب فهو من أكفر الكفار وأظلم الظالمين قال تعالى « ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال

أوحى اليّ ولم يوح اليه شيء ومن قال سأ نزل مثل ما أنزل الله «
وقال تعالى « فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ
جاءه » وقال تعالى « ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب
بالحق لما جاءه » وقال تعالى « ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً
ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين » ومن كان
كذلك كان الله يمقته ويبغضه ويعاقبه ولا يدوم أمره بل هو كما
قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الحديث الصحيح عن أبي
هريرة قال ان الله يملئ للظالم فاذا أخذه لم يفلته » ثم قرأ « وكذلك
أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه أليم شديد » وقال
أيضاً في الحديث الصحيح عن أبي موسى أنه قال قال رسول الله
ﷺ مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تفيها الرياح تقيمها تارة
وتميلها أخرى ومثل المنافق كمثل شجرة الارز لا تزال ثابتة على
أصلها حتى يكون انجمافها مرة واحدة . فالكاذب الفاجر وان
عظمت دولته فلا بد من زوالها بالكلية وبقاء ذمه ولسان السوء
له في العالم وهو يظهر سريعاً ويزول سريعاً كدولة الأسود
العنسي ومسيلمة الكذاب والحارث الدمشقي وبابا الرومي ونحوهم .
وأما الأنبياء فانهم يبتلون كثيراً لمحصوا بالبلاء فان الله تعالى
انما يمكن العبد اذا ابتلاه ويظهر أمره شيئاً فشيئاً كالزراع قال

تعالى « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيأثم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزراع أخرج شطأه (أي فراخه) فأزره (أي قواه) فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيماً ». ولهذا كان أول من اتبعهم ضعفاء الناس باعتبار هذه الأمور وسنة الله في أنبياء الله وأوليائه الصادقين وفي أعداء الله والمتنبئين الكذابين مما يوجب الفرق بين النوعين وبين دلائل النبي الصادق ودلائل المتنبئ الكذاب وقد ذكر ابتلاء النبي والمؤمنين ثم كون العاقبة لهم في غير موضع كقوله تعالى « ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين » وقال تعالى « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله إلا أن نصر الله قريب » وقال تعالى « وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير

للذين اتقوا أفلا تعقلون حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون « والمقصود أن إيذاء القاطنين بالحق والناصرين له من سنن أهل الجاهلية، وكثير من أهل عصرنا على ذلك والله المستعان

✽ الإيمان بالجبت والطاغوت ✽

(الخمسون) : الإيمان بالجبت والطاغوت وتمصيل المشركين على المسلمين قل تعالى في سورة النساء « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً » هذه الآية نزلت في حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف في جمع من يهود وذلك أنهم خرجوا إلى مكة بعد وقعة أحد ليحالفوا قريشاً على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وينقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزل كعب على أبي سفيان فأحسن مثواه ونزلت اليهود في دور قريش فقال أهل مكة أنتم

أهل كتاب ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم صاحب كتاب فلا
يؤمن هذا ان يكون مكرراً منكم فان أردت ان نخرج معك فاسجد
لهذين الصنمين وآمن بهما ففعل ثم قل كعب يا أهل مكة ليحيي
منكم ثلاثون ومنا ثلاثون فلزق أ كبادنا بالكعبة فنعاهد رب
البيت لنجهدن على قتال محمد نفعلوا ذلك فلما فرغوا قل أبو
سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن أميون لا نعلم
فاينا أهدي طريقاً وأقرب الى الحق ، نحن أم محمد ؟ قل كعب
اعرضوا على دينكم فقل أبو سفيان نحن ننحز للحجيج الكوماء
ونستقيم اللبن ونقري الضيف ونفك العاني ونصل الرحم ونعمر
بيت ربنا ونطوف به ونحن أهل الحرم ، ومحمد فارق دين آبائه
وقطع الرحم وديننا القديم ودين محمد الحديث . فقال كعب أنتم
والله أهدي سبيلاً مما عليه محمد فأنزل الله في ذلك الآية والجهت
في الأصل اسم صنم فاستعمل في كل معبود غير الله والطاغوت
يطلق على كل باطل من معبود أو غيره . ومعنى الايمان بهما إما
التصديق بأنهما آلهة واشرا كهما بالعبادة مع الله تعالى . وإما
طاعتهم وموافقتهم على ما هما عليه من الباطل . وأما القدر المشترك
بين المعنيين كالتعظيم مثلاً والتمتياز المعنى الاول أي انهم يصدقون
بالوهية هذين الباطلين ويشركونهما في العبادة مع الآله الحق

ويسجدون لها .

﴿ لبس الحق بالباطل ﴾

﴿ الحادية والخمسون ﴾ : لبس الحق بالباطل وكتمانه قال تعالى في سورة آل عمران « يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون » . وفي المراد أقوال : أحدها ان المراد تحريفهم التوراة والانجيل . ثانيها ان المراد اظهارهم الاسلام وابطانهم النفاق . ثالثها ان المراد الايمان بموسى وعيسى والكفر بمحمد عليهم السلام . رابعها ان المراد ما يعاجونه في قلوبهم من حقيقة رسالته ﷺ وما يظهرونه من تكذيبه

﴿ الاقرار بالحق للتوصل الى دفعه ﴾

﴿ الثانية والخمسون ﴾ : التعصب للمذهب والاقرار بالحق للتوصل الى دفعه . قال تعالى في سورة آل عمران « وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله ان يوثق أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم به عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم

يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم » قال الحسن
والسعدي : تواطأ اثنا عشر رجلاً من أحبار يهود خيبر وقرى
عرب و قال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد أول النهار باللسان
دون الاعتقاد وا كفروا آخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا
وشاورنا علماءنا فوجدنا محمداً ليس بذلك وظهر لنا كذبه وبطلان
دينه فاذا فعلتم ذلك شك أصحابه في دينهم وقالوا انهم أهل كتاب
وهم أعلم به فيرجعون عن دينهم الى دينكم

﴿اتخاذ النبيين أرباباً﴾

﴿الثالثة والخمسون﴾ : تسميتهم اتباع الاسلام شركاً ، قال
تعالى « ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم
يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ، ولكن كونوا ربانيين
بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون . ولا يأمركم ان
تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيا أمركم بالكفر بعد إذ أنتم
مسلمون » أخرج ابن اسحاق بسنده حين اجتمعت الاحبار من
اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ودعاهم الى الاسلام أتريد يا محمد ان نعبدك كما تعبد
النصارى عيسى بن مريم ؟ فقال رجل من أهل نجران نصراني

يقال له الرئيس أو ذاك تريد منا يا محمد فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : معاذ الله ان يعبد غير الله أو نأمر بعبادة غيره ما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني . فأنزل الله تعالى الآية

﴿ تحريف الكلام عن مواضعه ﴾

﴿ الرابعة والخمسون ﴾ : تحريف الكلام عن مواضعه ولي الألسنة بالكتاب . قل تعالى في سورة آل عمران « وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » روى أن الآية نزلت في اليهود والنصارى جميعا وذلك أنهم حرفوا التوراة والانجيل وألحقوا بكتاب الله تعالى ما ليس منه . واختلف الناس في أن المحرف هل كان يكتب في التوراة أم لا ؟ فذهب جمع الى أنه ليس في التوراة سوى كلام الله تعالى وان تحريف اليهود لم يكن إلا تغييراً وقت القراءة وتأويلا باطلا للنصوص . وأما أنهم يكتبون ما يرومون في التوراة على تعدد نسخها فلا . واحتجوا لذلك بما روى أن التوراة والانجيل كما أنزلها الله تعالى لم يغير منهما حرف ولكنهم يضلون بالتحريف والتأويل وكتب كانوا يكتبونها من عند

أنفسهم ويقولون ان ذلك من عند الله وما هو من عند الله . فأما
كتب الله تعالى فانها محفوظة لا تحول وبأن النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم كان يقول لليهود الزاماً لهم أتوا بالتوراة فاتلوها ان
كنتم صادقين وهم يمتنعون عن ذلك فلو كانت مغيرة الى ما يوافق
مرامهم ما امتنعوا بل وما كان يقول لهم ذلك رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم لانه يعود على مطلبه الشريف بالابطال . وذهب
آخرون الى أنهم بدلوا وكتبوا ذلك في نفس كتابهم واحتجوا
على ذلك بكثير من الظواهر ولا يمنع من ذلك تعدد النسخ لاحتمال
التواطؤ أو فعل ذلك في البعض دون البعض وكذا لا يمنع منه
قول الرسول لهم ذلك لاحتمال علمه ببقاء بعض ما يفي بنرضه سالماً
عن التغيير . إما لجعلهم بوجه دلالة أو لصرف الله تعالى إياهم
عن تغييره وتتمام الكلام في تفسير الجدل عند الكلام على هذه
الآية وكذا في الجواب الصحيح لشيخ الاسلام . وكثير من
الأمة المحمدية سلكوا مسلك الكتابيين في التحريف والتأويل
واتباع شهواتهم وقل تعالى في سورة النساء « من الذين هادوا
يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا وسمع غير
مسمع وراعنا لئلا بالسنتهم وطعناً في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا
وأطعنا وسمعوا وانظرنا لكان خيراً لهم وأقوم ولكن لعنهم الله

بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا» والكلام على هذه الآية أيضاً
مستوفى في التفسير

﴿تلقب أهل الهدى بألقاب غريبة﴾

(الخامسة والخمسون) : تلقب أهل الهدى بالصابئة والحشوية
فقد كان أهل الجاهلية يلتبسون من خرج عن دينهم بالصابي كما
كانوا يسمون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك كما ورد
في عدة أحاديث من صحيح البخاري ومسلم وغيرهما تنفيراً للناس
عن اتباع غير سبيلهم وهكذا تجد كثيراً من هذه الأمة يطلقون
على من خالفهم في بدعهم وأهوائهم أسماء مكروهة للناس . والصابئة
أمة قديمة على مذاهب مختلفة قد تكلم عاينها أهل المقالات بما
لا مزيد عليه . وأما الحشوية فهم قوم كانوا يقولون بجواز ورود
مالا معنى له في الكتاب والسنة كالحروف في أوائل السور
كذا قال بعضهم وهم الذين قال فيهم الحسن البصري لما وجد
قولهم ساقطاً وكانوا يجلسون في حلقة أمامه ردوا هؤلاء إلى
حشا الحلقة أي جانبها . وخصوم السلفيين يرمونهم بهذا الاسم
تنفيراً للناس عن اتباعهم والأخذ بأقوالهم حيث يقولون في
المتشابه لا يعلم تأويله إلا الله وقد أخطأت أستمهم الحفرة فالسلف

لا يقولون بورود ما لا معنى له لا في الكتاب ولا في السنة بل يقولون
 في الاستواء مثلاً: الاستواء غير مجبول والكيف غير معقول والاقرار
 به ايمان والجلود به كفر وقد أطال الكلام في هذه المسئلة شيخ
 الاسلام ابن تيمية في كثير من كتبه وخلص ذلك في كتابه جواب
 أهل الايمان في التفاضل بين آيات القرآن . ومن الناس من فرق
 بين مذهب السلف ومذهب الحشوية، أن مذهب الحشوية ورود
 ما يتعذر التوصل الى معناه المراد مطلقاً فالاستواء مثلاً عندهم له
 معنى يتوصل اليه بمجرد سماعه كل من يعرف الموضوعات اللغوية
 إلا أنه غير مراد لأنه خلاف ما يقتضيه دليل العقل والنقل ومعنى
 آخر يليق به تعالى لا يعلمه إلا هو عز وجل وكيف يكون مذهب
 السلف هو مذهب الحشوية وقد رأى الحسن البصري الذي هو
 من أكابر السلف سقوط قول الحشوية ولم يرض ان يقعد قائله
 تجاهه . والمتصود أن أهل الباطل من المبتدعة رموا أهل السنة
 والحديث بمثل هذا اللقب الخبيث . قل أبو محمد عبد الله بن قتيبة
 في تأويل مختلف الاحاديث ان أصحاب البدع سمووا أهل الحديث
 بالحشوية والناطقة والمتجبرة والجبرية وسموهم الغناء وهذه كلها انباز
 لم يأت بها خبر عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما أتى في
 القدرية أنهم مجوس هذه الامة فان مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا

فلا تشهدوا جنازتهم . وفي ارافضة يكون قوم في آخر الزمان
يسمون الرافضة يرفضون الاسلام ويلفظونه فاقتلوههم فانهم
مشركون . وفي المرجئة صنفان من أمتي لا تنالهم شفاعتي لعنوا على
لسان سبعين نبياً المرجئة والتدرية . وفي الخوارج يمرقون من
الدين كما يمرق السهم من الرمية وكلاب أهل النار . هذه أسماء
من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتلك أسماء مصنوعة
انتهى . وفي الغنية أن الباطنية تسمى أهل الحديث خشوية لقولهم
بالاخبار وتعلقهم بالآثار انتهى . وفي كتاب حجة الله البالغة
واستطال هؤلاء الخائضون على معشر أهل الحديث وسموهم بمجسمة
ومشبهة وقلوا هم المتسترون بالبلكفة ^(١) وقد وضع لدي وضوحاً
بيننا أن استطالتهم هذه ليست بشيء وأنهم مخطئون في روايتهم
رواية ودراية وخاطئون في طعنهم أئمة الهدى انتهى . وقد قال
العلامة ابن القيم في كافيته الشافية : فصل في تلقيبهم أهل السنة
بالخشوية ويقال من أولى بالوصف المذموم من هذا اللقب من
الطائفتين وذكر أول من لقب به أهل السنة من أهل البدع :
ومن العجائب قولهم لمن اقتدى بالوحي من أثر ومن قرآن
خشوية يعنون خشواً في الوجود وفضلة في أمة الانسان
ويظن جاهلهم بانهم خشوا رب العباد بداخل الا كوان

(١) من كلمة (بلا كيب)

إذ قولهم فوق العباد وفي السما
 ظن الحمير بأن «في» للظرف وال
 والله لم يسمع بهذا من فرقة
 لا تبهتوا أهل الحديث به فما
 بل قولهم أن السموات العلى
 حقاً كخردلة ترى في كف مم
 أترونها المحصور بعد أم السما
 كم ذا مشبهة وذا حشوية
 تدرون من سمت شيوخكم بهذا الاسم في الماضي من الأزمان
 سمي به عمرو لعبد الله ذا
 فورثتم عمرواً كما ورثوا لعبد
 الله أنى يستوى الارثنان
 تدرون من أولى بهذا الاسم وهو مناسب أحواله بوزان
 من قدحشى الاوراق والاذهان من
 بدع تخالف مقتضى القرآن
 هذا هو الحشوى لا أهل الحديث أئمة الاسلام والايمن
 وردوا عذاب مناهل السنن التي
 ليست زبالة هذه الأذهان
 ووردتم القلوط بمجرى كل ذي ال
 أوساخ والأقذار والأنتان
 وكسبتم أن تصعدوا للورد من
 أثر الشرايع خيبة الكسلان
 وحاصل هذه الابيات أن أعداء الحق وخصوم السنة وأضدادا

٥ الرب ذو الملكوت والسلطان
 ٥ رحن محوي بظرف مكان
 ٥ قالته في زمن من الأزمان
 ٥ ذا قولهم تباً لذي البهتان
 ٥ في كف خالق هذه الأكوان
 ٥ سكبها تعالى الله ذو السلطان
 ٥ ياقومنا ارتدعوا عن العدوان
 ٥ صرف بلا جحد ولا كتمان
 ٥ ك ابن الخليفة طارد الشيطان
 ٥ الله أنى يستوى الارثنان
 ٥ وهو مناسب أحواله بوزان
 ٥ بدع تخالف مقتضى القرآن
 ٥ أئمة الاسلام والايمن
 ٥ ليست زبالة هذه الأذهان
 ٥ أوساخ والأقذار والأنتان
 ٥ أثر الشرايع خيبة الكسلان
 ٥ وأضدادا

الكتاب والسنة يلقبون سلف الامة المتمسكين بالكتاب والسنة بلقب الحشوية، فانلواض منهم يقصدون بهذا الاسم أن المسمى به حشو في الوجود وفضلة في الناس لا يعبا بهم ولا يقام لهم وزن إذ لم يتبعوا آراءهم الكاسدة وأفكارهم الفاسدة وأما العوام منهم فيظنون أن تسمية السلف بالحشوية لقولهم بالفوقية وكون الاله في السماء بمعنى أنهم اعتقدوا وحاشاهم ان الله تعالى حشو هذا الوجود وأنه داخل السكون تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً وهذا بهتان عظيم على أهل الحديث على أن هذا القول لم يقبل به أحد . وأعداء الحق في عصرنا هذا على هذا المسلك الجاهلي فتراهم يرمون كل من تمسك بالكتاب والسنة بكل لقب مذموم بين المسلمين والله المستعان على ما تصفون

﴿التكذيب بالحق﴾

﴿السادسة والخمسون﴾ : افتراء الكذب على الله والتكذيب بالحق . وشواهد هذه المسئلة من الكتاب والسنة كثير وهذا دأب المخالفين للدين المبين كاليهود والنصارى، يدعون أن ما هم عليه هو الحق وأن الله أمرهم بالتمسك به وأن الدين المبين ليس بحق وأن الله تعالى أمرنا بتكذيبه كل ذلك لاتباع أسلافهم لا ينظرون الى الدليل وهكذا أهل البدع والضلالات يعتقدون بدعهم الحق

وأن الله أمرهم وأن ما عليه أهل الحق مفترى لا يصدقون به
وكل يدعي وصلاً لليلي وليلى لا تقر لهم بهذا

﴿ الافتراء على المؤمنين ﴾

﴿ السابعة والخمسون ﴾ : رمى المؤمنين بطلب العلو في الارض
قال تعالى في سورة يونس « قالوا أجبثنا لتلفتنا عما وجدنا عليه
آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض وما نحن لك بمؤمنين »
هذا الكلام مسوق لبيان أن موسى عليه السلام ألقمهم الحجر
فانقطعوا عن الاتيان بكلام له تعلق بكلامه عليه السلام فضلاً
عن الجواب الصحيح واضطروا الى التشبث بذيل التقليد الذي
هو دأب كل عاجز محجوج وديدن كل معالج لجوج . على أنه
استئناف وقع جواباً عما قبله من كلامه عليه السلام على طريقة
قال موسى ، كأنه قيل فماذا قالوا موسى عليه السلام حين قال لهم
ما قال ؟ فتيل قالوا عاجزين عن المحاجة « أجبثنا لتلفتنا عما وجدنا
عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض » أي الملك كما روى
عن مجاهد وعن الزجاج أنه إنما سمي الملك كبرياء لأنه أكبر
ما يطلب من أمر الدنيا ؛ فكل من دعا الى الحق رماه من كان على
المسلك الجاهلي أن قصده من الدعوة طلب الرياسة والجاه من غير

ان ينظروا الى ما دعا اليه وما قام عليه من البراهين

﴿ رمى المؤمنين بالفساد في الارض ﴾

﴿ الثامنة والخمسون ﴾ : رمى المؤمنين بالفساد في الارض. شاهد هذه المسألة آيات كثيرة، حاصلها أن المخالفين لهم من المؤمنين مفسدون في الارض. انظر الى قولهم في أوائل سورة البقرة كيف ادعوا أنهم هم مصلحون. وقد ردّ الله عليهم بقوله « ألا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون » وهكذا من هو على شاكلة أولئك من الذين استحلوا غيهم وتمكنت بدعهم من قلوبهم :

ومن يك ذا فم مريض يجد مرأً به الماء الزلّالا
نسأله تعالى ان يثبت قلوبنا على دينه القويم وأقدامنا على
الصرّاط المستقيم

﴿ رمى المؤمنين بتبديل الدين ﴾

﴿ التاسعة والخمسون ﴾ : رمى المؤمنين بتبديل الدين. قال تعالى في سورة مؤمن « اني أخاف أن يبدل دينكم وان يظهر في الارض الفساد » اعتقدوا ما هم عليه من الضلال هو الدين الحق ومن أراد تحويلهم عن اعتقادهم الكاسد وصرفهم عما هم عليه

من الغي [فقد اراد] اخراجهم من الدين وافساداً في الأرض .
وهكذا ديدن أعداء الحق في كل عصر .

﴿ اتهم أهل الحق بالفساد في الارض ﴾

﴿ الستون ﴾ : كونهم اذا غلبوا بالحجة فزعوا الى السيف
والشكوى الى الملوك و [دعوى] احتقار السلطان و [تحويل]
الرعية عن دينه . قال تعالى في سورة الاعراف « أتأذر موسى وقومه
ليفسدوا في الارض » فانظر الى شكوى آل فرعون وقومه اليه
وتحريضهم إياه على مقاتلة موسى عليه السلام وتوبيخه . وما ذكر
في آخر الآية من احتقار ما كانوا عليه

﴿ تناقض مذهبهم لما تركوا الحق ﴾

﴿ الحادية والستون ﴾ : تناقض مذهبهم لما تركوا الحق قال
تعالى في سورة ق « قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا
كتاب حفيظ بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريب » فقله
بل كذبوا بالحق الخ اضراب اتبع الاضراب الأول للدلالة على
أنهم جاءوا بما هو أقطع من تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذي
هو النبوة الثابتة بالمعجزات في أول وهلة من غير تفكر ولا تدبر
فهم في أمر مريب مضطرب وذلك بسبب نفهم النبوة عن البشر

بالكلية تارة وزعمهم أن اللاتق بها أهل الجاه والمال كما ينبغي عنهم
قولهم «لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» تارة
أخرى ، وزعمهم أن النبوة سحر أول مرة وأنها كهانة أخرى
حيث قالوا في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مرة ساحر ومرة
كاهن ، أو هو اختلاف حالهم ما بين تعجب من البعث واستبعاد
له وتكذيب وتردد فيه أو قولهم في القرآن هو شعر تارة وهو
سحر أخرى وقال تعالى في سورة الذاريات « والسما ذات الحبك
انكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من افك قتل الخراصون الذين
هم في غمرة ساهون » الحبك جمع حبيكة كطريقة أو جبال كئثال
ومثل والمراد بها اما الطرق المحسوسة التي تسير فيها الكواكب
أو المعقولة التي تدرك بالبصيرة وهي ما يدل على وحدة الصانع
وقدرته وعلمه وحكمته اذا تأملها الناظر بقوله « انكم لفي قول
مختلف » أي متخالف متناقض في أمر الله عز وجل حيث تقولون
انه جل شأنه خلق السموات والأرض وتقولون بصحة عبادة
الاصنام معه سبحانه وفي أمر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم
فتقولون تارة انه مجنون وأخرى انه ساحر ولا يكون الساحر إلا
عاقلا وفي أمر الحشر فتقولون تارة لا حشر ولا حياة بعد الموت
أصلا وتزعمون أخرى أن أصنامكم شفعاؤكم عند الله تعالى يوم

القيامة الى غير ذلك من الأقوال المتخالفة فيما كلفوا بالايمان به
وقوله « يؤفك عنه » من افك أي يصرف عن الايمان بما كلفوا
الايمان به « قتل الخراصون » أي الكذابون من أصحاب القول
المختلف « الذين هم في غمرة ساهون » الغمرة الجهل العظيم يغمرهم
ويشملهم شمول الماء الغامر لما فيه والسهو الغفلة وقال تعالى في أواخر
سورة الانعام « ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في
شيء انما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون » هذه الآية
استثناف لبيان أحوال أهل الكتابين اثر بيان حال المشركين
بناء على ما روى عن ابن عباس وقتادة أن الآية نزلت في اليهود
والنصارى أي بددوا دينهم وبعضوه فتمسك بكل بعض منه فرقة
منهم « وكانوا شيعا » أي فرقا تشيع كل فرقة اماما وتبعية أي تقويه
وتظهر أمره . أخرج أبو داود والترمذي عن أبي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « افرقت اليهود على احدى
وسبعين فرقة كلهم في الهاوية إلا واحدة ، وافرقت النصارى على
ثنتين وسبعين فرقة كلهم في الهاوية إلا واحدة ، وستفترق أمتي على
ثلاث وسبعين فرقة كلهم في الهاوية إلا واحدة » واستثناء الواحدة
من فرق كل من أهل الكتابين انما هو بالنظر الى العصر الماضي
قبل النسخ واما بعده فالكل في الهاوية ان واختلفت أسباب

دخولهم . « لست منهم في شيء » أي من السؤال عنهم والبحث عن
تفرقهم أو من عقابهم أو أنت بريء منهم . « إنما أمرهم إلى الله »
تعليل للنفي المذكور أي هو يتولى وحده أمرهم وأولاهم وآخرهم
ويدبره حسب مقتضيه الحكمة . ومن الناس من قال المفرقون أهل
البدع من هذي الأمة . فقد أخرج الحكيم الترمذي وابن جرير
والطبراني وغيرهم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم في قوله سبحانه « ان الذين فرقوا » الخ هم أهل البدع والاهواء
من هذه الأمة فيكون الكلام حينئذ استثناءً لبيان حال المبتدعين
اثر بيان حال المشركين ، إشارة إلى أنهم ليسوا منهم ببعيد

والمقصود أن أهل الجاهلية سواء كانوا أميين أو كتابيين قد
فرقوا دينهم وتغايروا في الاعتقاد فكان عباد الاصنام كل قوم
لهم صنم يدينون له ولهم شرائع مختلفة في عبادتها . ومنهم من كان
يعبد كوكبا ومنهم من كان يعبد الشمس ومنهم ومنهم . وكذلك
الكتابيون على ما بينا . فالافتراق ناشئ عن الجهل وإلا فالشريعة
الحقة في كل زمان لا تعدد فيها ولا اختلاف ، ولذلك ترى القرآن
يوحد الحق ويعدد الباطل قال تعالى « الله ولي الذين آمنوا
يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت
يخرجونهم من النور إلى الظلمات » فانظر كيف أفرد النور الذي

هو الحق وجمع الظلمات التي هي الباطل والزيف ، فتنفرقة الآراء والاختلاف في الاعتقاد من خصال الجاهلية وما كان عليه أهل الباطل ، والاتفاق على العقيدة الحققة هو من دأب أتباع الرسل والمتمسكين بما شرعه الله تعالى

﴿ دعواهم العمل بالحق الذي عندهم ﴾

﴿ الثانية والستون ﴾ دعواهم العمل بالحق الذي عندهم كما قال تعالى في سورة البقرة « وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصداق لما معهم ، قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل أن كنتم مؤمنين » أي نستمر على الإيمان بالتوراة وما في حكمها مما أنزل لتقرير حكمها. ومرادهم بضمير المتكلم إما أنبياء بني إسرائيل وهو الظاهر ، وفيه إيماء إلى أن عدم إيمانهم بالقرآن كان بغياً وحسداً على نزوله على من ليس منهم ، وإما أنفسهم ومعنى الانزال عليهم تكليفهم بما في المنزل من الأحكام ، وندموا على هذه المقالة لما فيها من التعريض بشأن القرآن ، ودسائس اليهود مشهورة وتعام الكلام في التفسير

﴿ الزيادة في العبادة ﴾

﴿ الثالثة والستون ﴾ : الزيادة في العبادة ، كفعلهم يوم

عاشوراء

﴿ النقص من العبادة ﴾

﴿ الرابعة والستون ﴾ : النقص منها ، كتركهم الوقوف . قال

تعالى « ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس » أي من عرفة لا من مزدلفة والخطاب عام والمقصود إبطال ما كان عليه الحمس من الوقوف بجمع فقد أخرج البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة وكانوا يسمون الحمس وكان سائر العرب يقفون بعرفات ، فلما جاء الاسلام أمر الله نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم أن يأتي عرفات ثم يقف بها ثم يفيض منها فذلك قوله سبحانه « ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس » ومعناها : ثم أفيضوا أيها الحجاج من مكان أفاض جنس الناس منه قديماً وحديثاً وهو عرفة لا من مزدلفة

﴿تعبدكم بترك الطيبات من الرزق﴾

﴿الخامسة والستون﴾ : تعبدكم بترك أكل الطيبات من الرزق وترك زينة الله التي أخرج لعباده . قال تعالى في سورة الاعراف « يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، واكلوا واشربوا ولا تسرفوا ان الله لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون » . وسبب النزول على ما روي عن ابن عباس انه كان أناس من الاعراب يطوفون بالبית عراة حتى ان كانت المرأة لتطوف بالبית وهي عريانة فتعلق على سفنها سيوراً مثل هذه السيور التي تكون على وجه الحمر من الذهب وهي تقول :
اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله

فأنزل الله تعالى هذه الآية « يا بني آدم اكلوا واشربوا مما طاب لكم ، قل الكلبي كان أهل الجاهلية لا يأكلون من الطعام الا قوتاً ولا يأكلون دسماً في أيام حجهم يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون : يا رسول الله نحن أحق بذلك ، فأنزل الله تعالى الآية ومنه يظهر وجه ذكر الاكل والشرب هنا ولا تسرفوا

بمحرّم الحلال كما هو المناسب بسبب النزول أو بالتعدي الى
الحرام « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده » من الثياب وكل
ما يتجمل به « والطيبات من الرزق » أي من المستلذات وقيل
المحلات من الماء كل والمشارب كلحم الشاة وشحمها ولبنها
« قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا » أي هي لهم بالاصالة
لمزيد كرامتهم على الله تعالى والكفرة ان شاركوهم فيها فبالتبع
خالصة يوم القيامة لا يشاركهم فيها غيرهم

﴿ تعبدكم بالمكاء والتصدية ﴾

﴿ السادسة والستون ﴾ تعبدكم بالمكاء والتصدية . قال تعالى
في سورة الانفال « وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية
فدوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » تفسير هذه الآية « وما كان
صلاتهم عند البيت » أي المسجد الحرام الذي صدوا المسلمين عنه
والتعبير عنه بالبيت للاختصار مع الاشارة الى أنه بيت الله تعالى
فينبغي أن يعظم بالعبادة وهم لم يفعلوا الا مكاء أي صغيراً وتصدية
أي تصفيقاً وهو ضرب اليد باليد بحيث يسمع له صوت . والمراد
بالصلاة اما الدعاء أو افعال أخر كانوا يفعلونها ويسمونها صلاة

وحمل المكاء والتصدية عليها بتأويل ذلك بأنها لا فائدة فيها ولا
معنى لها كصفير الطيور وتصفيق اللعب . وقد يقال المراد أنهم
وضعوا المكاء والتصدية موضع الصلاة التي تليق ان تقع عند
البيت . يروى أنهم كانوا اذا أراد النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم أن يصلي يخلطون عليه بالصفير والتصفيق . ويروى أنهم
يصلون أيضاً ويروى أنهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء
مشبكين بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون . وبقي الآية
معلوم . والمقصود أن مثل هذه الافعال لا تكون عبادة بل من
شعائر الجاهلية . فما يفعله اليوم بعض جهلة المسلمين في المساجد
من المكاء والتصدية يزعمون أنهم يذكرون الله فهو من قبيل فعل
الجاهلية . وما أحسن ما يقول القائل فيهم :

أقال الله صفق لي وغنَّ وقل كفراً وسم الكفر ذكراً
وقد جعل الشارع صوت الملاهي صوت الشيطان ، قال تعالى
« واستفز من استطعت منهم بصوتك ، واجلب عليهم بخيلك
ورجلك ، وشاركهم في الأموال والأولاد ، وعدهم وما يعدهم
الشيطان الا غرورا »

﴿ النفاق في العقيدة ﴾

﴿ السابعة والستون ﴾ : دعواهم الايمان عند المؤمنين ، فاذا
خرجوا خرجوا بالكفر الذي دخلوا به

﴿ دعاؤهم الى الضلال بغير علم ﴾

﴿ الثامنة والستون ﴾ : دعاؤهم الناس الى الضلال بغير علم

﴿ دعاؤهم الى الكفر مع العلم ﴾

﴿ التاسعة والستون ﴾ دعاؤهم الناس الى الكفر مع العلم

﴿ المكر الكبار ﴾

﴿ السبعون ﴾ المكر الكبار . كفعل قوم نوح قال تعالى في
سورة نوح عليه السلام « ومكروا مكرًا كَبَارًا وقلوا لا تذرنا
أهتكم ولا تذرنا وُدًّا ولا سواعًا ولا يغوث ويعوق ونسراً وقد
أضلوا كثيراً . ومعنى الكبار الكبير والمكر الكبار احتيالهم
في الدين وصددهم للناس عنه واغرائهم وتحريضهم على أذية نوح
عليه السلام . وهكذا فعل أخلاف هؤلاء من مردة الدين واتباع

الهوى وعبدة الدنيا يفعلون مع دعاة الحق كما فعل قوم نوح عليه السلام معه قد تشابهت قلوبهم . نسأله تعالى أن يعيد رجال الحق من كيد مثل هؤلاء الفجرة ويصونهم من مكرهم وقد جرّبهم فرأيت منهم خبائث بالمهمين نستجير

﴿ حالة علمائهم ﴾

الحادية والسبعون : أتمتهم اما عالم فاجر واما عابد جاهل قال تعالى « أففتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما علقوه وهم يعلمون . واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم افلا تعقلون أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون . ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا امانى وانهم الا يظنون فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » فذكر في الآية ان فريقاً من أسلاف اليهود وهم الأخبار كانوا يسمعون التوراة ويؤولونها تأويلاً فاسداً حسب أغراضهم بل كانوا يحرفونها بتبديل كلام من تلقائهم كما فعلوا ذلك في نعتة صلى الله تعالى عليه وسلم

فانه روي أنه من صفاته فيها أنه أبيض ربعة فغيروه باسم طويل
وغيروا آية الرجم بالتسخيم وتسويد الوجه كما في البخاري . ومنهم
فريق أميون لا يعلمون الكتاب الا بالدعاوي الكاذبة والمراد
بهم جهلة مقلدة لا ادراك لهم . وتعام الكلام في هذا المقام يطلب
من التفسير والمقصود أن تحريف الكلم واتباع الهوى والقول على
الله من غير علم من خصال الجاهلية وانت تعلم حال أحبار السوء
اليوم والرهبان الذين يقولون على الله مالا يعلم قد تجاوزوا الحد
في اتباع الهوى وتأويل النصوص وما اشبه ذلك مما يستحي منه
الاسلام والامر لله

﴿زعمهم أنهم هم أولياء الله﴾

﴿الثانية والسبعون﴾ : زعمهم أنهم أولياء الله من دون الناس
دليل هذه المسئلة قوله تعالى في سورة الجمعة « قل يا أيها الذين
هادوا » أي تهودوا أي صاروا يهوداً « ان زعمتم أنكم أولياء الله »
أي أحباء له سبحانه ، ولم يصف أولياء اليه تعالى كما في قوله سبحانه
« الا أن ولياء الله ليؤذن بالفرق بين مدعى الولاية ومن يخصه بها
من دون الناس » أي متجاوزين عن الناس « فتمنوا الموت » أي فتمنوا
من الله تعالى ان يميتكم وينقلكم من دار البلية الى محل الكرامة

«ان كنتم صادقين» في زعمكم واثقين بأنه حق فتمنوا الموت فان
من أيقن انه من أهل الجنة أحب ان يتخلص اليها من هذه الدار
التي هي قرارة الانكار والا كدار. وأمر صلى الله تعالى عليه
وسلم ان يقول لهم ذلك اظهاراً لكنيهم فانهم كانوا يقولون : نحن
أبناء الله وأحبائه ويدعون ان الآخرة لهم عند الله خالصة ويقولون
لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً ، كما أخبر تعالى عن السكتايين
في كتابه فقال جل شأنه « وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً
أو نصارى تلك أمانتهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين بلى
من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم
ولا هم يحزنون » وروى انه لما ظهر رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم كتبت يهود المدينة ليهود خيبر : ان اتبعتم محمداً أطعناه
وان خالفتموه خالفناه . فقالوا نحن أبناء خليل الرحمن ومنا عزيز
ابن الله والأنبيا ومثى كانت النبوة في العرب نحن أحق بها من
محمد ولا سبيل الى اتباعه . فنزلت « قل يأيها الذين هادوا »
الآية « ولا يتمنوه أبداً » اخبار بحالهم المستقبل وهو عدم تمنيمهم
الموت وذلك خاص بأولئك المخاطبين وروى ان رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم قال لهم والذي نفسي بيده لا يقولها أحد منكم
إلا غص بريقه فلم يتمنه أحد منهم وما ذلك إلا لانهم كانوا موقنين

بصدقه صلى الله تعالى عليه وسلم فاعلموا أنهم لو تمنوا لما اتوا من
ساعتهم ولحقهم الوعيد. وهذه إحدى المعجزات « بما قدمت أيديهم »
أي بسببه كأنه قيل اتفق تمنيههم بسبب ما قدمت والمراد بما قدمته
أيديهم الكفر والمعاصي الموجبة لدخول النار ولما كانت اليد من
بين جوارح الانسان مناط عامة أفعاله عبر بها تارة عن النفس
وأخرى عن القدرة « والله عليم بالظالمين » أي بهم وإشار الاظهار
على الاضمار لذمهم والتسجيل عليهم بأنهم ظالمون في كل ما يأتون
ويندرون من الأمور التي من جملتها ادعاء ما هم عنه بمعزل أي
والله عليم بما صدر منهم من فنون الظلم والمعاصي وبما سيكون
منهم فيجازيهم على ذلك « قل ان الموت الذي تفرون منه » ولا
تجسرون على ان تمنوه مخافة ان تؤخذوا بوبال أفعالكم « فانه
ملاقيكم » البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه « ثم تردون الى
عالم الغيب والشهادة » الذي لا تخفى عليه خافية « فينبئكم بما كنتم
تعملون » من الكفر والمعاصي بأن يجازيكم بها وهذا ديدن الزائغين
وشأن الملحدين كما قال تعالى عن اليهود « نحن أبناء الله وأحباؤه
قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق » . وقد ورث هذه
الخصلة كثير ممن يفتنى الى الملة الاسلامية بل كل من الفرق
من يقول نحن أولياء الله مع أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

قال في حديث الفرق في بيان الفرقة الناجية : وهم ما أنا عليه وأصحابي .

﴿ دعوى محبة الله مع ترك شرعه ﴾

﴿ الثالثة والسبعون ﴾ : دعواهم محبة الله مع ترك شرعه فطالبهم سبحانه بقوله في سورة آل عمران « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم » . قال الحسن وابن جريج : زعم أقوام على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنهم يحبون الله فقالوا يا محمد إنا نحب ربنا فأنزل الله تعالى هذه الآية . وروى الضحاك عن ابن عباس قال وقف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على قريش في المسجد الحرام وقد نصبوا أصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا في آذانها الشموف ^(١) وهم يسجدون لها فقال : يا معشر قريش لقد خالقتُم ملة أبيكم إبراهيم وإسماعيل ولقد كانا على الاسلام . فقالت قريش يا محمد انما نعبد هذه حبا لله لتقربنا الى الله زلفى فأنزل الله تعالى « قل ان كنتم تحبون الله الخ » . وفي رواية أبي صالح أن اليهود

(١) الشمف القرط الأعلى أو معلق في قوف الأذن أو ما علق في أعلاها وأما ما علق في أسفلها فقرط . جمعه شنوف

لما قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه أنزل الله هذه الآية فلما نزلت
عرّضها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على اليهود فأبوا ان
يقبلوها . وروى محمد بن اسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير
قال : نزلت في نصارى نجران وذلك أنهم قالوا انما نعظم المسيح
نعبده حباً لله وتعظيماً له فأُنزل الله تعالى هذه الآية ردّاً عليهم .
وبالجملة ان من تلبّس بالمعاصي لا ينبغي له ان يدعى محبة الله وما
أحسن قول القائل :

تعصى الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمرى في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته ان المحب لمن يحب مطيع

﴿ تمنّهم على الله الاماني الكاذبة ﴾

﴿ الرابعة والسبعون ﴾ : تمنّهم على الله تعالى الأمانى
الكاذبة قال تعالى في سورة آل عمران « ألم تر الى الذين أتوا
نصيياً من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى
فريق منهم وهم معرضون ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياماً
معدودات وغرّهم في دينهم ما كانوا يفترون » . أخرج ابن
اسحاق وجماعة عن ابن عباس قال : دخل رسول الله ﷺ بيت
المدراس على جماعة من يهود فدعاهم الى الله تعالى فقال النعمان بن

عمرو والحارث بن زيد : على أي دين أنت يا محمد ؟ قال على ملة
 ابراهيم ودينه قالا فان ابراهيم كان يهودياً فقال لهما رسول الله
 صلى الله تعالى عليه وسلم فهلما الى التوراة فهي بيننا وبينكم فأينا
 عليه فانزل الله تعالى الآية . وفي البحر : زنى رجل من اليهود
 بامرأة ولم يكن بعد في ديننا الرجم فتحاكموا الى رسول الله صلى
 الله تعالى عليه وسلم تخفيفاً على الزانيين لشرفهما فقال رسول الله
 صلى الله تعالى عليه وسلم : انما أحكم بكتابكم ، فأنكروا الرجم
 فجيء بالتوراة فوضع جرهم بن صور يايده على آية الرجم فقال
 عبد الله بن سلام جاوزها يا رسول الله فاظهرها فرجما فغضبت
 اليهود فنزلت . ومعنى قوله « ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما
 معدودات » أي المذكور من التولي والاعراض حاصل لهم بسبب
 هذا القول الذي رسخ اعتقادهم له وهو نوا به الخطوب ولم يبالوا
 معه بارتكاب المعاصي والذنوب . والمراد بالايام المعدودات أيام
 عبادتهم العجل « وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون » أي غرهم
 افتراؤهم وكذبهم أو الذي كانوا يفترونه من قولهم : لن تمسنا النار
 أو من قولهم : نحن أبناء الله وأحباؤه ، أو مما يشمل ذلك ونحوه
 من قولهم : ان آباءنا الأنبياء يشفعون لنا وأن الله تعالى وعده يعقوب
 ان لا يعذب أبناءه الا تحلة القسم فرد عليهم بقوله سبحانه « فكيف

إذا جمعناهم إلخ . روى أنه أول راية ترفع لأهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله تعالى على رؤس الاشهاد ثم يأمر بهم إلى النار . وهكذا رأينا كثيراً من أهل زماننا يفعلون ما يفعلون من المنكرات اعتماداً على الشفاعة أو على علو الحسب وشرف النسب والله المستعان . وفي سورة البقرة « وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة قل اتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون . بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون »

﴿ اتخاذ قبور الصالحين مساجد ﴾

﴿ الخامسة والسبعون ﴾ : اتخاذ قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد . هذه المسئلة من خصال الكتابيين أيام جاهليتهم وفي ذلك ورد الحديث الصحيح « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » ثم قال « فلا تتخذوها مساجد » وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال « قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وفي لفظ لمسلم « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وفي الصحيحين عن عائشة وابن عباس قال : لما نزل برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم طفق يطرح خميصة له

على وجهه فاذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال : وهو كذلك لعن
الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا
وفي الصحيحين أيضاً عن عائشة : أن أم سلمة وأم حبيبة ذكرتا
لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كنيسة رأيناها بأرض الحبشة
يقال لها مارية وذكرتا من حسنهما وتصاوير فيها فقال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم « أولئك قوم اذا مات فيهم العبد الصالح
أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور
أولئك شرار المخلوق عند الله » وعن ابن عباس قال « لعن رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها
المساجد والسرج » رواه أهل السنن الأربعة فهذا التحذير منه
واللعن عن مشابهة أهل الكتاب في بناء المسجد على قبر الرجل
الصالح صريح في النهي عن المشابهة وفي هذا دليل على الحذر
عن جنس أعمالهم حيث لا يؤمن في سائر أعمالهم ان يكون من
هذا الجنس . ثم من المعلوم ما قد ابتلى به كثير من هذه الامة
من بناء القبور مساجد واتخاذ القبور مساجد بلا بناء وكلا
الامرين محرم ملعون فاعله بالمستفيض من السنة وليس هذا موضع
استقصاء ما في ذلك من سائر الاحاديث والآثار ولهذا كان
السلف يبالغون في المنع

﴿ اتخاذ آثار الأنبياء مساجد ﴾

﴿ السادسة والسبعون ﴾ : اتخاذ آثار أنبيائهم مساجد كما ورد عن عمر رضي الله عنه فان هذه المسئلة أيضاً من بدع جاهلية الكتابيين كانوا يتخذون آثار أنبيائهم مساجد فورثهم الجاهلون من هذه الامة قترهم يبنون على موضع اختفى به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو وصل قدمه المبارك اليه أو تعبد فيه ، وهذا ليس مما يحمد في الشريعة لجره الى الغلو . وفي العراق مواضع كثيرة بنوا عليها مباني كالمقام الذي زعموا ان الشيخ الكيلاني تعبد فيه وكأثر الكف الذي زعم الشيعة انه أثر كف الامام علي لما وضعه على الصخرة فأثر فيها فبنوا عليها مسجداً وكعدة أما كن زعموا ان اخضر روي فيها ولا أصل له ، الى غير ذلك مما لا يستوعبه المقام فينبغي لمن يدعى الاسلام ان يتجنبها وينهي عن حضورها وان رمى بالانكار وعداوة الاشرار وكيد المارقين الفجار . وفي المسئلة تفصيل لا بأس بذكره قال شيخ الاسلام : اما مقامات الانبياء والصالحين وهي الامكنة التي قاموا فيها أو أقاموا أو عبدوا الله سبحانه لكنهم لم يتخذوها مساجد فالذي بلغني في ذلك قولان عن العلماء المشهورين : أحدهما النهي عن ذلك وكراهته

وانه لا يستحب قصد بقعة للعبادة إلا ان يكون قصدها للعبادة
 مما جاء به الشرع مثل ان يكون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
 قصدها للعبادة كما قصد الصلاة في مقام ابراهيم وكما كان يتحرى
 الصلاة عند الاسطوانة وكما تقصد المساجد للصلاة ويقصد الصف
 الاول ونحو ذلك . والقول الثاني أنه لا بأس باليسير من ذلك كما
 نقل عن ابن عمر أنه كان يتحرى قصد المواضع التي سلكها النبي
 صلى الله تعالى عليه وسلم وان كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
 سلكها اتفاقاً لا قصداً . وسئل الامام احمد عن الرجل يأتي هذه
 المشاهد ويذهب اليها ترى ذلك؟ قال أما على حديث ابن أم مكتوم
 أنه سأل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان يصلي في بيته حتى يتخذ
 ذلك مصلى وعلى ما كان يفعله ابن عمر يتبع مواضع النبي صلى الله
 تعالى عليه وسلم وأثره فليس بذلك بأس ان يأتي الرجل المشاهد
 إلا أن الناس قد أفرطوا في هذا جداً وأكثروا فيه . وكذلك
 نقل عنه احمد بن القاسم أنه سئل عن الرجل يأتي هذه المشاهد
 التي بالمدينة وغيرها يذهب اليها فقال أما على حديث ابن أم
 مكتوم أنه سأل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان يأتيه فيصلي في
 بيته حتى يتخذ مسجداً وعلى ما كان يفعل ابن عمر كان يتبع مواضع
 سير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى أنه رؤي يصب في موضع

ماء فسئل عن ذلك فقال رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
يصب هنا ماء قال أما على هذا فلا بأس قال ورخص فيه ، ثم قال
ولكن قد أفرط الناس جداً وأكثروا في هذا المعنى فذكر قبر
الحسين وما يفعل الناس عنده رواها الخلال في كتاب الادب فقد
فصل أبو عبد الله في المشاهد وهي الامكنة التي فيها آثار الانبياء
والصالحين من غير ان تكون مساجد لهم كمواعظ بالمدينة بين القليل
الذي لا يتخذونه عيداً أو الكثير الذي يتخذونه عيداً كما تقدم وهذا
التفصيل جمع فيه بين الآثار وأقوال الصحابة. فانه قد روى البخاري
في صحيحه عن موسى بن عقبة قال رأيت سالماً بن عبد الله يتحرى
أما كن من الطريق ويصلي فيها ويحدث أن أباه كان يصلي فيها وأنه
رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يصلي في تلك الامكنة فهذا كما
رخص الامام احمد . وأما كراهته فروى سعيد بن منصور في
سننه قال حدثنا أبو معاوية قال حدثنا الاعمش عن المعرور بن
سويد عن عمر قال خرجنا معه في حجة حجها فقرأ بنا في الفجر
بألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ولا يلاف قريش في الثانية
فلما رجع من حجته رأى الناس ابتدروا المسجد فقال ما هذا
فقالوا مسجد صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه فقال
هكذا هلك أهل الكتاب قبلكم اتخذوا آثار أنبيائهم بيعاً من

عرضت له منكم الصلاة فيه فليصل ومن لم تعرض له الصلاة فليمض
فقد كره عمر اتخاذ مصلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عيداً وبين
ان أهل الكتاب انما هلكوا بمثل هذا كانوا يتبعون آثار أنبيائهم
ويتخذونها كنائس وبيعا. وروى محمد بن وضاح وغيره أن عمر
ابن الخطاب أمر بقطع الشجرة التي بويج تحتها النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم لان الناس كانوا يذهبون تحتها نخاف عمر الفتنة عليهم
وما ذكره عمر هو الحري بالقبول وهو مذهب جمهور الصحابة
غير ابنه وهو الذي يجب العمل به ويعول عليه

﴿ اتخاذ السرج على القبور ﴾

﴿ السابعة والسبعون ﴾ : اتخاذ السرج على القبور دليل حرمة
ذلك ما ورد عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الحديث
الذي سبق ذكره من لعن من يفعل ذلك وليتك رأيت ما يوقد
في ترب أئمة أهل البيت ونحوها من الشموع ولا سيما في ليالي رمضان
والليالي المباركة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا

﴿ اتخاذ القبور أعياداً ﴾

﴿ الثامنة والسبعون ﴾ : اتخاذها أعياداً اعلم ان العيد اسم لما
يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائداً ما تعود السنة أو يعود
الاسبوع أو الشهر أو نحو ذلك فالعيد يجمع أموراً منها يوم عائداً

كيوم الفطر ويوم الجمعة . ومنها اجتماع فيه . ومنها أعمال تجمع ذلك من العبادات أو العادات . وقد يختص العيد بمكان بعينه وقد يكون مطلقاً . هؤلاء مساهو أهل العراق لكل تربة ولي يوم مخصوص يجتمعون فيه للزيارة كزيارة الغدير ومرد الرأس . ومنهم من خص له يوم من أيام الاسبوع فالجمعة لفلان والثلاثاء لفلان وهكذا ومن ذلك بعض الايام والليالي المباركة كليلة القدر وأيام الاعياد وليلة النصف من شعبان وغير ذلك مما لم ينزل الله به من سلطان

﴿ الذبح عند القبور ﴾

﴿ التاسعة والسبعون ﴾ : الذبح عند القبور قال الله تعالى « قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » أمره الله ان يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون له أي أنه أخلص لله صلاته وذبيحته لان المشركين يعبدون الاصنام ويذبحون لها فأمره الله تعالى بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه والانقياد بالقصد والنية والعزم على الاخلاص لله تعالى فمن تقرب لغير الله ليدفع عنه ضيراً أو يجلب له خيراً تعظيماً له من الكفر الاعتقادي والشرك الذي كان عليه الاولون وسبب مشروعية التسمية تخصيص مثل

هذه الامور العظام بالاله الحق المعبود العالم فاذا قصد بالذبح غيره
كان أولى بالمنع . وصح نهيه صلى الله تعالى عليه وسلم عن استأذنه
بالذبح ببوانة وانه قد نذر ذلك فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم
أكان فيها صنم ؟ قال : لا . قال : فهل كان فيها عيد من أعياد
المشركين ؟ قال : لا . قال له « فأوف بنذرك » أخرج ذلك أبو داود
في سننه . وهذا السائل موحّد مقرب لله سبحانه وتعالى وحده
لكن المكان الذي فيه معبود غير الله وقد عدم أو محل لاجتماعهم
يصلح مانعاً فلما علم صلى الله تعالى عليه وسلم ان ليس هناك شيء
من ذلك أجازة . ولو علم شيئاً مما سئل عنه لمنعه صيانة لحج التوحيد
وقطعاً لذريعة الشرك . وصح أيضاً عنه صلى الله تعالى عليه وسلم
انه قال « دخل الجنة رجل في ذباب ودخل النار رجل في ذباب
قالوا : كيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : مرّ رجلان على قوم لهم صنم
لا يجاوزه أحد حتى يقرب له شيئاً . قالوا له : قرب ولو ذباباً
فقرب ذباباً فخلوا سبيله فدخل النار وقالوا للآخر قرب قال :
ما كنت أقرب شيئاً لأحد دون الله عز وجل ف ضربوا عنقه
فدخل الجنة » ففي هذا الحديث من النوائد كون المقرب دخل النار
بالسبب الذي لم يقصده بل فعله تخلصاً من شرهم وان كان مسلماً
وإلا لم يقل دخل النار . وفيه ما ينبغي الاهتمام به من أعمال القلوب
التي هي المقصود الأعظم والركن الأكبر فتأمل في ذلك وانظر

الى فؤادك في جميع ما قالوه وألق سمعك لما ذكروه وانظر الحق
فان الحق أبليج والباطل جليج . فبالنظر التام الى ما كان عليه
المشركون من تقربهم لأوثانهم لتقربهم الى الله لكونهم شفعاء
لهم عند الله وشفاعتهم بسبب أنهم رسل الله أو ملائكة الله وأولياء
الله يتبين لك ما عليه الناس الآن . والله المستعان

﴿التبرك بآثار المعظمين﴾

﴿التمانون﴾ : التبرك بآثار المعظمين كدار الندوة وافتخار
من كان تحت يده بذلك كما قيل لحكيم بن حزام بعت مكرمة
قريش فقال ذهبت المكارم إلا التقوى هذه الخصلة قد امتدت
عروق ضلالها في أودية قلوب جهلة المسلمين وزادوا في الغلو بها
على ما كان عليه جاهلية العرب والكتابين ولا بدع من حكيم
ابن حزام القريشي الأسدي اذا مارد على من قال له : بعت
مكرمة قريش وقد باعها من معاوية بمائة ألف درهم : ذهبت المكارم
إلا التقوى كيف لا وقد كان عاقلاً سورياً فاضلاً تقياً سيداً بماله غنياً
أعتق في الجاهلية مائة رقبة وحمل على مائة بعير وحج في الاسلام
ومعه مائة بدنة قد جلأها بالخبرة وكفها عن اعجازها وأهداها ووقف
بمائة وصيف بعرفة في أعناقهم أطواق الفضة منقوش فيها عتقاء
الله عن حكيم بن حزام وأهدى ألف شاة وهو الذي عاش في

الجاهلية ستين سنة وفي الاسلام ستين سنة وولد في الكعبة

﴿ الحادية والثمانون ﴾ : الفخر بالاحساب

﴿ الثانية والثمانون ﴾ : الاستسقاء بالانواء

﴿ الثالثة والثمانون ﴾ : الطعن في الانساب

﴿ الرابعة والثمانون ﴾ : النياحة . أقول : هذه المسائل الاربع

دليل بطلانها حديث واحد وهو ما رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم بسنده إلى أبي مالك الاشعري أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حدثه قال : أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن الفخر في الاحساب والطعن في الانساب والاستسقاء بالنجوم والناحية أو قال النائحة اذا لم تنب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب « الفخر في الاحساب افتخارهم بمفاخر الآباء . والطعن في الانساب ادخالهم العيب في أنساب الناس تحقيراً لا بآئهم وتفضيلاً لا بآباء أنفسهم على آباء غيرهم . والاستسقاء بالنجوم اعتقادهم نزول المطر بسقوط نجم في المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله من المشرق فقد كانوا يقولون مطرنا بنوء كذا وقال تعالى « وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون » وهذا مفصل في كتب الانواء بما لا مزيد عليه . ومعنى قوله في النائحة : وعليها سربال من قطران ان الله تعالى يجازيها بلباس من قطران لانها كانت تلبس الثياب السود . وقوله درع من جرب يعني

يسلط على أعضائها الجرب والحكة بحيث يغطي بدننها تغطية
الدرع وهو القميص لأنها كانت تجرح بكلماتها المحرقة قلوب
ذوي المصيبات . فهذا الحديث دل على بطلان ما كان عليه أهل
الجاهلية من هذه الخصال الرديئة، وورثتهم اليوم من هذه الامة
تجاوزوا فيها أسلافهم وزادوا في الطنبور نغمت فتراهم يفتخرون
بمزايا آبائهم وهم بمراحل عنهم ، فهذا يقول كان جدي
الشيخ الفلاني وهذا يقول جدي العالم الرباني الى غير ذلك .
وكذلك الطعن في الانساب، فهذا يقول إن آباء فلان لم يكونوا من
العتره الطاهرة وذلك يقول ان آباء فلان لم يكونوا من ذوي
الاحساب الباهرة . وكذلك الاستسقاء بالأنواء ولم يعتقد كثير
من الناس أن ما كان من فعل رب الأرض والسماء . وهكذا
النوح على الأموات فقد اتخذ كثير من الناس من أفضل الأعمال
وسبب الوصول الى مرضاة ذي الجلال لا سيما من اتخذ المآتم
الحسينية في كل عام فهناك من البدع ما تكل عن نقله السنة
الأقلام والويل كل الويل لمن أنكر شيئاً من ذلك فانهم يوردونه
موارد العطب والمهلك . والأمر لله ولا حول ولا قوة الا بالله

﴿ تعيير الرجل بفعل أمه وأبيه ﴾

﴿ الخامسة والثمانون ﴾ : تعيير الرجل بفعل غيره لا سيما

أبوه وأمه نخالفهم صلى الله تعالى عليه وسلم وقال « أعيرته بامه ؟
 انك امرؤ فيك جاهلية » والحديث في صحيح الامام البخاري في
 باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها الا
 بالشرك لقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : انك امرؤ فيك
 جاهلية وقول الله تعالى « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر
 ما دون ذلك لمن يشاء » . وهذا الباب في كتاب الايمان من
 صحيحه ثم قال حدثنا سليمان بن حرب قال حدثنا شعبة عن واصل
 عن المعروف قال : لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حلة وعلى غلامه
 حلة فسألته عن ذلك فقال : اني ساببت رجلا فعيرته بامه فقال لي
 النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « يا أبا ذر أعيرته بامه ؟ انك امرؤ
 فيك جاهلية اخوانكم خولكم جعلهم الله تعالى تحت أيديكم فمن
 كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا
 تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فأعينوهم » وقد أطنب شراح
 الحديث في شرحه وليس هذا موضع استقصائه . والمقصود منه
 أن تعير الرجل بفعل غيره ليس من شأن كامل الايمان والمعرفة .
 فان أبا ذر رضي الله تعالى عنه قبل بلوغه المرتبة القصوى من
 المعرفة تساب هو وبلال الحبشي المؤذن فقال له : يا ابن السوداء
 فلما شكى بلال الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال له
 « شمت بلالا وعيرته بسواد أمه ؟ قال : نعم . قال حسبت أنه بقي

فيك شيء من كبر الجاهلية» فألقى أبو ذر خده على التراب ثم قال :
لا أرفع خدي حتى يطأ بلال خدي بقدمه . والناس اليوم والأمر
لله قد كثرت فيهم خصال الجاهلية فتراهم يعيرون أهل البلد كلهم
بما صدر عن واحد منهم فأين من ذلك خصال الجاهلية

﴿ الافتخار بولاية البيت ﴾

﴿ السادسة والثمانون ﴾ : الافتخار بولاية البيت . فذمهم الله
تعالى بقوله : « مستكبرين به سامراً تهجرون » وهذه الآية
في سورة المؤمنين وهي بتمامها قوله تعالى « قد كانت آياتي تُتلى
عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامراً
تهجرون » ومعنى هذه الآية على ما في التفسير قد كانت آياتي
تتلى عليكم لتعليل لقوله قبل « لا تجأروا اليوم انكم منا لا
تنصرون » أي دعوا الصراخ فانه لا يمنعكم منا ولا ينفعكم عندنا
فقد ارتكبتم أمراً عظيماً وإثمًا كبيراً وهو التكذيب بالآيات فلا
يدفعه الصراخ فكنتم عند تلاوتها على أعقابكم تنكصون أي تعرضون
عن سماعها أشد الاعراض فضلاً عن تصديقها والعمل بها .
والنكوص : الرجوع . والأعقاب : جمع عقب وهو مؤخر الرجل
ورجوع الشخص على عقبه رجوعه في طريقه الأول كما يقال :
رجع عوده على بدئه « مستكبرين به » أي بالبيت الحرام ، والباء

للسببية وسوغ بهذا الاضرار مع أنه لم يجر ذكر اشتهار استكبارهم
 وافتخارهم بأنهم خدام البيت وقوامه « سامراً » أي تسمر ونبت ذكر
 القرآن والظعن فيه وذلك أنهم كانوا يجتمعون حول البيت يسمر ون
 وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحراً وشعراً « وتهجرون »
 من الهجر بفتح فسكون بمعنى القطع والترك والجملة في موضع الحال
 أي تاركين الحق والقرآن أو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على
 تقدير عود ضمير به له وجاء الهجر بمعنى الهذيان وجوز أن يكون
 المعنى عليه أي تهذون في شأن القرآن أو النبي صلى الله تعالى عليه
 وسلم أو أصحابه أو ما يعم جميع ذلك ويجوز أن يكون من الهجر
 بضم فسكون وهو الكلام القبيح فأنكر الله تعالى عليهم بقوله :
 « أفلم يدبروا القول » ليعلموا بما فيه من وجوه الإعجاز انه الحق
 من ربهم فيؤمنوا به « أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين » أي بل
 جاءهم الخ . والمقصود أن من خصال الجاهلية التكبر بسبب
 الرياسة على المواضع المقدسة كما هو اليوم حال كثير ممن يدعى
 الشرف بسبب ذلك . فمنهم من ادعى الشرف على المسلمين
 بسبب رياسته على مكة والمدينة ومنهم من ادعاه بسبب الرياسة في
 المشاهد أو مقامات الصالحين هؤلاء الذين يدعون انتسابهم إلى
 عبد القادر الجيلاني في بغداد يدعون الشرف بسبب رياستهم على قبر

عبد القادر واستيلائهم على النذور والصدقات والذبايح والقرايين
الشركية التي يتعبد بها جهلة المسلمين من الهنود والأكراد
ونحوهم وهم أفسق خلق الله وأدناهم نفساً وأرذل خلق الله مسلماً
فما يفيدهم ذلك عند الله شيئاً وما ينجيهم من مقت الله وعذابه
وان ظن بهم العوام ما ظنوا فهم عند الله وعند عباده الصالحين
أحق من الدر وأبعدهم عن رحمته يوم القيامة

﴿ الافتخار بكونهم من ذرية الانبياء ﴾

﴿ السابعة والثمانون ﴾ : الافتخار بكونهم من ذرية الأنبياء
عليهم السلام . فرد الله عليهم بقوله « تلك أمة قد خلت لها ما
كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون » هذه
الآية في آخر الجزء الأول من سورة البقرة وتفسيرها « تلك
أمة قد خلت » الإشارة الى ابراهيم عليه السلام وأولاده في قوله
« ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه
في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين » الخ . والامة أتت لمعان
والمراد بها هنا الجماعة من أم بمعنى قصد وسميت كل جماعة بجمعهم
أمر ما إما دين واحد ، أو زمان واحد ، أو مكان بذلك لأنهم
يؤم بعضهم بعضاً ويقصده . وانخلو : المضي ، وأصله الانفراد لها

ما كسبت ولكم ما كسبتم ، والمعنى أن انتسابكم اليهم لا يوجب
انتفاعكم بأعمالهم وإنما تفتفعون بموافقتهم واتباعهم كما قال صلى الله
تعالى عليه وسلم : « يا معشر قريش ان أولى الناس بالنبي المتقون ،
فكونوا بسبيل من ذلك فانظروا أن لا يلقي الناس يحملون الأعمال
وتلقوني بالدنيا فأصد عنكم بوجهي » وهذا الحديث بمعنى قوله
تعالى : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم
شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم »
ومعنى قوله « ولا تسألون عما كانوا يعملون » لا تؤاخذون بسيئاتهم
كما لا تثابون بحسناتهم . وهذه الخصلة موجودة اليوم في كثير
من المسلمين ورأس ما لهم الافتخار بالآباء : فمنهم من يقول : أنا
من ذرية عبد القادر الكيلاني ومنهم من يقول أنا من ذرية أحمد
الرفاعي ، ومنهم من يقول أنا بكرى ، ومنهم من يقول أنا عمري ، ومنهم
من يقول أنا علوي أو حسني أو حسيني ولا فضيلة لهم ولا تقوى
وكل ذلك لا ينفعهم يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله
بقلب سليم ، ورسول الله صلى الله عليه تعالى وسلم يقول لفاطمة
« يا فاطمة بنت محمد لا اغنى عنك من الله شيئا » وما قصد أولئك
المفتخرين بأبائهم وهم عارون عن كل فضيلة الا أن كل أموال
الناس بالباطل . وفي المثل (كن عصاميا ولا تكن عظاميا)
ان الفتى من يقول ها أناذا ليس الفتى من يقول كان أبي

ولله درّ من قال يردّ على المفتخر بمثل ذلك :

أقول لمن غدا في كل يوم يباهينا بأسلاف عظام
أتقنع بالعظام وأنت تدري بأن الكلب يقنع بالعظام
وقال آخر :

وما الفخر بالعظم الرميم وإنما نخار الذي ينبغي الفخر بنفسه

﴿ الافتخار بالصنائع ﴾

﴿ الثامنة والثمانون ﴾ : الافتخار بالصنائع . كما افتخر أهل الرحلتين على أهل الحرث، يريد بالرحلتين رحلة الشتاء الى اليمن ورحلة الصيف الى الشام وهي عادة كانت لقريش كما ذكر ذلك في سورة الايلاف . والمقصود أنه لا ينبغي للتاجر أن يفتخر بتجارته على أهل الحرث ولا أهل كل حرفة على المحترفين بحرفة أخرى فان كل ذلك من المكاسب الدنيوية التي يتوصل بها الى عبادة الله وطاعته وامتنال أوامره واجتناب نواهيه ليتوصل بذلك الى النجاة الأبدية وهي مدار الفخر ، وأماما سوى ذلك فكله ظل زائل ونعيم غير مقيم فلا ينبغي للعاقل أن يفخر بزخارف الدنيا الدنيئة ولا يعلم متى يفارقها . نسأله تعالى التوفيق والعمل الصالح الذي يرضيه

﴿عظمة الدنيا في قلوبهم﴾

﴿التاسعة والثمانون﴾ : عظمة الدنيا في قلوبهم كقولهم «لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» أي من خصال الجاهلية مراعاة الدنيا وعظمتها في قلوبهم كما حكى الله عنهم ذلك بقوله «ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون» وقالوا لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أمهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون» هذه الآية في سورة الزخرف وموضع الاستشهاد فيها قوله «وقالوا لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» المراد من القريتين مكة والطائف . قال ابن عباس الذي من مكة الوليد بن المغيرة المخزومي والذي من الطائف حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي وكل منهما كان عظيما ذا جاه ومال وكان الوليد بن المغيرة يسمى ربحانة قريش وكان يقول لو كان ما يقول محمد حقا لنزل على أو على أبي مسعود يعني عروة بن مسعود وكان يكنى بذلك وهذا باب آخر من انكارهم للنبوّة وذلك انهم أنكروا أولا أن يكون النبي بشرا ثم لما بكتوا بتكثير الحجج ولم يبق عندهم تصور رواج لذلك جاءوا بالانكار من وجه آخر فحكوا على

الله سبحانه أن يكون الرسول أحد هذين وقولهم «هذا القرآن» ذكر
له على وجه الاستهانة لأنهم لم يقولوا هذه المقالة تسليماً بل إنكاراً
كأنه قيل هذا الكذب الذي يدعيه لو كان حقاً لكان الحقيق به
رجل من القريتين عظيم وهذا منهم لجهلهم بأن رتبة الرسالة إنما
تستدعي عظيم النفس بالتخلي عن الرذائل الدنية والتخلي بالكلمات
والفضائل القدسية دون التزخرف بالزخارف الدنيوية ، فإنكر
سبحانه عليهم بقوله «أهم يقسمون رحمة ربك» وفيه تجهيل وتعجيب
من تحكمهم نزول القرآن العظيم على من أرادوا «نحن قسمنا بينهم
معيشتهم في الحياة الدنيا» قسمة تقتضيها مشيئتنا المبنية على الحكم
والمصالح ، ولم نفوض أمرها إليهم علماً منا بعجزهم عن تدبيرها
بالكلية «ورفعنا بعضهم فوق بعض» في الرزق وسائر مبادئ المعاش
درجات متفاوتة بحسب القرب والبعد حسبما تقتضيه الحكمة فمن
ضعيف وقوي وغني وفقير وخادم ومخدوم وحاكم ومحكوم .
«ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً» ليستعمل بعضهم بعضاً في مصالحهم
ويستخدموهم في مهنهم ويسخروهم في أشغالهم حتى يتعاشوا
ويتراقدوا ويصلوا إلى مرافقهم لالكمال في الموسع عليه ولانقص
في المقتر عليه ولو فوضنا ذلك إلى تدبيرهم لضاعوا وهلكوا فإذا
كانوا في تدبير خويصة أمرهم وما يصلحهم من متاع الدنيا الدنية

وهو على طرف التمام بهذه الحالة فماظنهم بأنفسهم في تدبير أنفسهم وفي تدبير أمر الدين وهو أبعد من مناط العيوق ، ومن أين لهم البحث عن أمر النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بأمرها وفي قوله تعالى «نحن قسمنا» الخ مايزيد في الانكباب على طلب الدنيا ويعين على التوكل على الله عز وجل والانتقطاع إليه جلّ جلاله

فاعتبر نحن قسمنا بينهم تعلقه حقا وبالحق نزل «ورحمة ربك خير مما يجمعون» أي النبوة وما يتبعها من سعادة الدارين خير مما يجمعونه من حطام الدنيا الدنية فالعظيم من رزق تلك الرحمة دون ذلك الحطام الدنيء الفاني . وأنت تعلم ان كثيرا من الناس اليوم على ما كان عليه أهل الجاهلية في هذه الخصلة ، فتراهم لا يعتبرون العلم اذا كان صاحبه فقير الحال وينظرون الى الغني ويعتبرون أقواله ، والله درّ من قال (١) :

رُبَّ عِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَالِ لَوْ جَهِلَ غَطَى عَلَيْهِ النَّعِيمُ

﴿ازدراء الفقراء﴾

﴿التسعون﴾ : ازدراء الفقراء فانزل سبحانه قوله «ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه» . أقول

(١) هو حسان بن ثابت الانصاري شاعر النبي صلى الله عليه وسلم . والمشهور (رب علم

هذه الآية في أوائل سورة الانعام وبيان معناها متعلق بما قبلها وهو قوله تعالى « وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين » فلما أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بانذار المذكورين لعلهم ينتظمون في سلك المتقين نهى عن كون ذلك بحيث يؤدي الى طردهم ويفهم من بعض الروايات ان الآيتين نزلتا معاً ولا يفهم ذلك من البعض الآخر فقد أخرج الامام احمد والطبراني وغيرهما عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : مرّ الملاء من قريش على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعنده صهيب وعمار وبلال وخباب ونحوهم من ضعفاء المسلمين فقالوا : يا محمد رضىت هؤلاء من قومك أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أنحن نكون تبعاً لهؤلاء اطردهم عنك فلعلك ان طردتهم أن تتبعك . فأنزل الله تعالى فيهم القرآن « وأنذر به الذين » الى قوله سبحانه « فتكون من الظالمين » . وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ والبيهقي في الدلائل وغيرهم عن خباب قال : جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري فوجدا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قاعدا مع بلال وصهيب وعمار وخباب في اناس ضعفاء من المؤمنين فلما رأوهم

حوله حقروهم فأتوه فخلوا به فقالوا نحب أن تجعل لنا منك مجلساً
تعرف لنا العرب به فضلنا فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن
ترانا قعوداً مع هؤلاء الاعبد فاذا نحن جئناك فاقمهم عنا فاذا نحن
فرغنا فاقعد معهم ان شئت قال نعم قالوا فكتب لنا عليك بذلك كتاباً
فدعا بالصحيفة ودعا علياً ليكتب ونحن قعود في ناحية اذ نزل
جبريل بهذه الآية « ولا تطرد الذين الخ » ثم دعانا فأتيناه وهو
يقول سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة فكنا نقعد معه
فاذا أراد أن يقوم قام وتركنا فأنزل الله تعالى « واصبر نفسك
مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد
عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن
ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً » فكان رسول الله ﷺ يقعد معنا
فاذا بلغ الساعة التي يقوم فيها قننا وتركناه حتى يقوم . وأخرج ابن
المنذر وغيره عن عكرمة قال مشى عتبة وشيبة ابنا ربيعة وقرظة
ابن عبد عمرو بن نوفل والحارث بن عامر بن نوفل ومظعم بن
عدي في أشراف الكفار من عبد مناف الى أبي طالب فقالوا :
لو ان ابن أخيك طرد عنا هؤلاء الاعبد والخلفاء كان أعظم له في
صورتنا وأطوع له عندنا وأدنى لاتباعنا آياه وتصديقه فذكر
ذلك أبو طالب للنبي ﷺ فقال عمر بن الخطاب لو فعلت يا رسول
الله حتى ننظر ما يريدون بقولهم وما يصيرون اليه من أمرهم فأنزل

الله سبحانه « وأنذر به الذين يخافون » الى قوله سبحانه « أليس الله بأعلم بالشاكرين » وكانوا بلالاً وعمار بن ياسر وسالمًا مولى حذيفة وصبيحاً مولى أسيد والخلفاء ابن مسعود والمقداد بن عمرو وواقد بن عبد الله الحنظلي وعمر بن عبد عمرو ومرثد بن أبي مرثد وأشباههم ونزل في أئمة الكفر من قريش والموالي والخلفاء « وكذلك فتنا بعضهم ببعض » فلما نزلت أقبل عمر فاعتذر من مقالته فانزل الله تعالى « وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا » وقوله « ما عليك من حسابهم من شيء » جملة معترضة بين النهي وجوابه تقريراً له ودفعاً لما عسى أن يتوهم كونه مسوغاً لطرد المتقين من أقويل الطاعنين في دينهم كدأب قوم نوح حيث قالوا « ما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادي الرأي » والمعنى ما عليك شيء ما من حساب إيمانهم وأعمالهم الباطنة كما يقوله المشركون حتى تتصدى له وتبنى على ذلك ما تراه من الأحكام وإنما وظيفتك حسبها هو شأن منصب الرسالة النظر الى ظواهر الامور واجراء لاحكام على موجبها ، وتفويض البواطن وحسابها الى اللطيف الخبير ، وظواهر هؤلاء دعاء ربهم بالغداة والعشي . وروى عن ابن زيد ان المعنى ما عليك شيء من حساب رزقهم أي من فقرهم والمراد لا يضررك فقرهم شيئاً ليصح لك الاقدام على ما أراده المشركون منك فيهم وقوله « وما من حسابك عليهم من شيء » عطف

على ما قبله وجيء به مع أن الجواب قد تم بذلك مبالغة في بيان
 كون انتفاء حسابهم عليه بنظمه في سلك مالا شبهة فيه أصلا وهو
 انتفاء كون حسابهم ^{مطابقا} عليهم فهو على طريقة قوله سبحانه « فإذا
 جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » في رأى وقال
 الزمخشري أن الجملتين في معنى جملة واحدة تؤدى مؤدى « ولا تزر
 وازرة وزر أخرى » كأنه قيل لا تؤاخذ أنت ولا هم بحساب صاحبه
 وحينئذ لا بد من الجملتين وتعقب بأنه غير حقيق بجلالة التنزيل
 وقوله « فتكون من الظالمين » جواب للنهي

﴿ انكارهم الملائكة والوحي والرسالة والبعث ﴾

﴿ الحادية والتسعون ﴾ : عدم الايمان بملائكة الله وكتبه
 ورسله واليوم الآخر والكلام على ذلك مفصل في التفسير وكتب
 الحديث والعقائد والآيات في ذلك كثيرة منها قوله تعالى « زعم
 الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبئن بما عملتم
 وذلك على الله يسير » ومن الشعر الجاهلي في انكار البعث والنشور :

وماذا بالقلب قلب بدر	من الشيزى تزين بالسنام
وماذا بالقلب قلب بدر	من القينات والشرب الكرام
تحيينا السلامة أم بكر	فهل لى بعد قومي من سلام
يحدثنا الرسول بأن سنحيا	وكيف حياة اصداء وهام

وقال آخر :

حياة ثم موت ثم نشر حديث خرافة يأثم عمرو
ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى « وقالوا إذا متنا
وكنا ترابا وعظاما إنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون » وقد تكلمنا
على معتقدات الجاهلية وأديانهم في غير هذا الموضع
﴿ إيمانهم بالجبت والطاغوت ﴾

﴿ الثانية والتسعون ﴾ : الإيمان بالجبت والطاغوت وتفضيل
دين المشركين على دين المسلمين قال تعالى « ألم تر إلى الذين أتوا
نصييا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين
كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا » وقد تقدم الكلام
على ذلك مفصلا . والمقصود هنا أن جهلة الكتابيين كانوا
يقولون للمشركين أنتم أهدى من المسلمين وما عندكم خير مما
عليه محمد وأصحابه . وترى المتصوفة والغلاة اليوم على هذا المنهج
يقولون ان دعاة أهل القبور والغلاة خير ممن يمنع عن ذلك من
أهل التوحيد وحفاظ السنة

﴿ كتمان الحق مع العلم به ﴾

﴿ الثالثة والتسعون ﴾ : كتمان الحق مع العلم به . كما حكى الله

ذلك عن أحبار بني إسرائيل من اليهود والنصارى فقد كتبوا ما ورد في كتبهم من البشائر المحمدية وهم يعلمون بورودها وذكورها في كتبهم والكلام في هذا الباب مفصل في الجواب الصحيح لشيخ الاسلام فعليك به فإنه كتاب لم يؤلف مثله

﴿القول على الله بلا علم﴾

﴿الرابعة والتسعون﴾ : القول على الله بلا علم وهو أساس كل فساد وأصل الضلال وأكثر الناس حظاً من هذه الخصلة الجاهلية مبتدعة المتكلمين فقد تكلموا في الصفات الالهية بما لم ينزل الله بها من سلطان وأولوا نصوص الشريعة بما تهواه أنفسهم كما فعله الرازي في كتابه أساس التقديس وجزى الله شيخ الاسلام خيراً فقد ردّ عليه ونقض أساسه وسجل ضلاله وجهله وضيق أنفاسه «ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض»

﴿التناقض﴾

﴿الخامسة والتسعون﴾ : التناقض الواضح قال تعالى «بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج» وهكذا أهل البدع من المغلاة وغيرهم يدعون الاسلام ويعملون أعمالاً تناقض ما هم عليه من الدين

﴿الكهانة وما في حكمها﴾

﴿السادسة والتسعون - والسابعة والتسعون - والثامنة والتسعون - والتاسعة والتسعون - والمائة﴾ : العيافة ، والطرق والطيرة ، والكهانة ، والتحاكم الى الطاغوت ونحو ذلك . وقد تكلمنا على هذه الامور في كتابنا (بلوغ الأرب في أحوال العرب) بما لا مزيد عليه وذكرنا هناك أو ابدعهم وخرافاتهم وسائر ضلالاتهم . وكل ذلك من أعمال جهلة المسلمين اليوم وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا



وغالب مسائل الاصل رؤوس مسائل في كتاب اقتضاء الصراط المستقيم ، ومن أراد التفصيل فليرجع اليه وهذا آخر ما أردنا شرحه من المسائل التي أبطلها الاسلام . والحمد لله ولي الانعام . والصلاة والسلام على خير الانام ومصباح الظلام وعلى آله وصحبه ومن تبعهم باحسان

في ٥ ذي الحجة وهو يوم الخميس بعد الظهر من سنة ١٣٢٥ هـ

فهرس

مسائل الجاهلية

الصفحة المالة

اهداء الكتاب	٣
مقدمة الناشر	٤
خطبة الكتاب	٩
دعاء الصالحين	١ ١١
التفرق	٢ ١١
مخالفة ولي الأمر	٣ ١٢
التقليد	٤ ١٣
الاقتداء بالعالم الفاسق أو العالم الجاهل	٥ ١٤
الاحتجاج بما كان عليه الآباء بلا دليل	٦ ١٥
الاحتجاج على الحق بقله أهله	٧ ١٦
الاستدلال على بطلان الشيء بكونه غريباً	٨ ١٧
انخداع أهل القوة والحيلة بقوتهم وحيلتهم	٩ ١٨
انخداع أهل الثروة بثروتهم	١٠ ٢١

الاستخفاف بالحق لضعف أهله	١١	٢٣
وصم أنصار الحق بما ليس فيهم	١٢	٢٤
التكبر عن نصرة الحق لأن أنصاره ضعفاء	١٣	٢٥
استدلالهم على بطلان الشيء بكونهم أولى به لو كان حقاً	١٤	٢٦
جهلهم بالجامع والفارق	١٥	٢٦
الغلو في الصالحين	١٦	٢٩
الاعتذار بعدم الفهم	١٧	٣٠
انكارهم الحق الذي لا تقول به طائفتهم	١٨	٣٢
التمسك بخرافات السحر	١٩	٣٣
التناقض في الانتساب	٢٠	٣٤
صرف النصوص عن مدلولاتها	٢١	٣٤
تحريف كتب الدين	٢٢	٣٤
الانصراف عن هداية الدين الى ما يخالفها	٢٣	٣٥
كفرهم بما مع غيرهم من الحق	٢٤	٣٥
ادعاء كل طائفة حصر الحق فيها	٢٥	٣٦
انكار ما أقرؤا أنه من دينهم	٢٦	٣٧
المجاهرة بكشف العورات	٢٧	٣٨
التعبد بتحريم الحلال	٢٨	٤٠

الصفحة	المسألة
٤٣	٢٩ الإلحاد في أسماء الله وصفاته
٤٦	٣٠ نسبة النقائص الى الله
٥٠	٣١ تنزيههم المخلوق عما نسبوه الى الخالق
٥١	٣٢ قولهم بالتعطيل
٥١	٣٣ الشراكة في الملك
٥٢	٣٤ انكار النبوات
٥٣	٣٥ جحودهم القدر واحتجاجهم به على الله
٦٠	٣٦ مسبة الدهر
٦٢	٣٧ اضافة نعم الله الى غيره
٦٤	٣٨ الكفر بآيات الله ←
٦٥	٣٩ اختيار كتب الباطل ونبد آيات الله
٦٦	٤٠ القدح في حكمة الله
٧٠	٤١ الكفر بالملائكة والرسل والتفريق بينهم ←
٧٢	٤٢ الغلو في الأنبياء والرسل
٧٢	٤٣ الجدل بغير علم
٧٣	٤٤ الكلام في الدين بلا علم
٧٥	٤٥ الكفر باليوم الآخر ←
٧٥	٤٦ التكذيب بآية مالك يوم الدين

الصفحة	المسألة
٧٦	٤٧ التكنذيب بآية لا يبيع فيه ولا خلة ولا شفاعة
٧٦	٤٨ انخطأ في فهم معنى الشفاعة
٧٧	٤٩ قتل أولياء الله
٨٨	٥٠ الايمان بالجبت والطاغوت (وانظر ص ١٤٢)
٩٠	٥١ لبس الحق بالباطل
٩٠	٥٢ الاقرار بالحق للتوصل الى دفعه
٩١	٥٣ اتخاذ النبيين أرباباً
٩٢	٥٤ تحريف الكلم عن مواضعه
٩٤	٥٥ تلقيب أهل الهدى بألقاب غريبة
٩٨	٥٦ التكنذيب بالحق
٩٩	٥٧ الافتراء على المؤمنين
١٠٠	٥٨ رمي المؤمنين بالفساد في الأرض
١٠٠ →	٥٩ رمي المؤمنين بتبديل الدين
١٠١	٦٠ اتهام أهل الحق بالفساد في الأرض
١٠١	٦١ تناقض مذهبهم لما تركوا الحق
١٠٥	٦٢ دعواهم العمل بالحق الذي عندهم
١٠٦	٦٣ الزيادة في العبادة
١٠٦	٦٤ النقص من العبادة

الصفحة	المسألة
١٠٧	٦٥ تعبدهم بترك الطيبات من الرزق
١٠٨	٦٦ تعبدهم بالمكاء والتصدية
١١٠	٦٧ النفاق في العقيدة
١١٠	٦٨ دعاؤهم الى الضلال بغير علم
١١٠	٦٩ دعاؤهم الى الكفر مع العلم
١١٠	٧٠ المكر الكبار
١١١	٧١ حالة علمائهم
١١٢	٧٢ زعمهم أنهم هم أولياء الله
١١٥	٧٣ دعوى محبة الله مع ترك شرعه
١١٦	٧٤ تمنيتهم على الله الأمانى الكاذبة
١١٨	٧٥ اتخاذ قبور الصالحين مساجد
١٢٠	٧٦ اتخاذ آثار الأنبياء مساجد
١٢٣	٧٧ اتخاذ السرج على القبور
١٢٣	٧٨ اتخاذ القبور أعياداً
١٢٤	٧٩ الذبح عند القبور
١٢٦	٨٠ التبرك بآثار المعظمين
١٢٧	٨١ الفخر بالأحساب
١٢٧	٨٢ الاستسقاء بالأنواء

الصفحة	للسؤال	
١٢٧	٨٣	الطعن في الانساب
١٢٧	٨٤	النيابة
١٢٨	٨٥	تعبير الرجل بفعل أمه وأبيه
١٣٠	٨٦	الافتخار بولاية البيت
١٣٢	٨٧	الافتخار بكونهم من ذرية الانبياء
١٣٤	٨٨	الافتخار بالصنائع
١٣٥	٨٩	عظمة الدنيا في قلوبهم
١٣٧	٩٠	ازدراء الفقراء
١٤١	٩١	انكارهم الملائكة والوحي والرسالة والبعث
١٤٢	٩٢	ايمانهم بالجبت والطاغوت (وانظر ص ٨٨)
١٤٢	٩٣	كتمان الحق مع العلم به
١٤٣	٩٤	القول على الله بلا علم
١٤٣	٩٥	التناقض
١٤٤	٩٦	العيافة
١٤٤	٩٧	الطرق
١٤٤	٩٨	الطيرة
١٤٤	٩٩	الكهانة
١٤٤	١٠٠	التحاكم الى الطاغوت

الحكمة الباقية

مجموعة أدب بارع، وحكمة بليغة، وتهذيب قومي.

تأليف

محب الدين الطييب

منشور مجاتي (الزهراء) و (الذبح)

ثمانية أجزاء — ٢٣٠٠٠ صفحة

لطيفة الحجم، جميلة الطبع

نمطها ٤٠ قرشاً

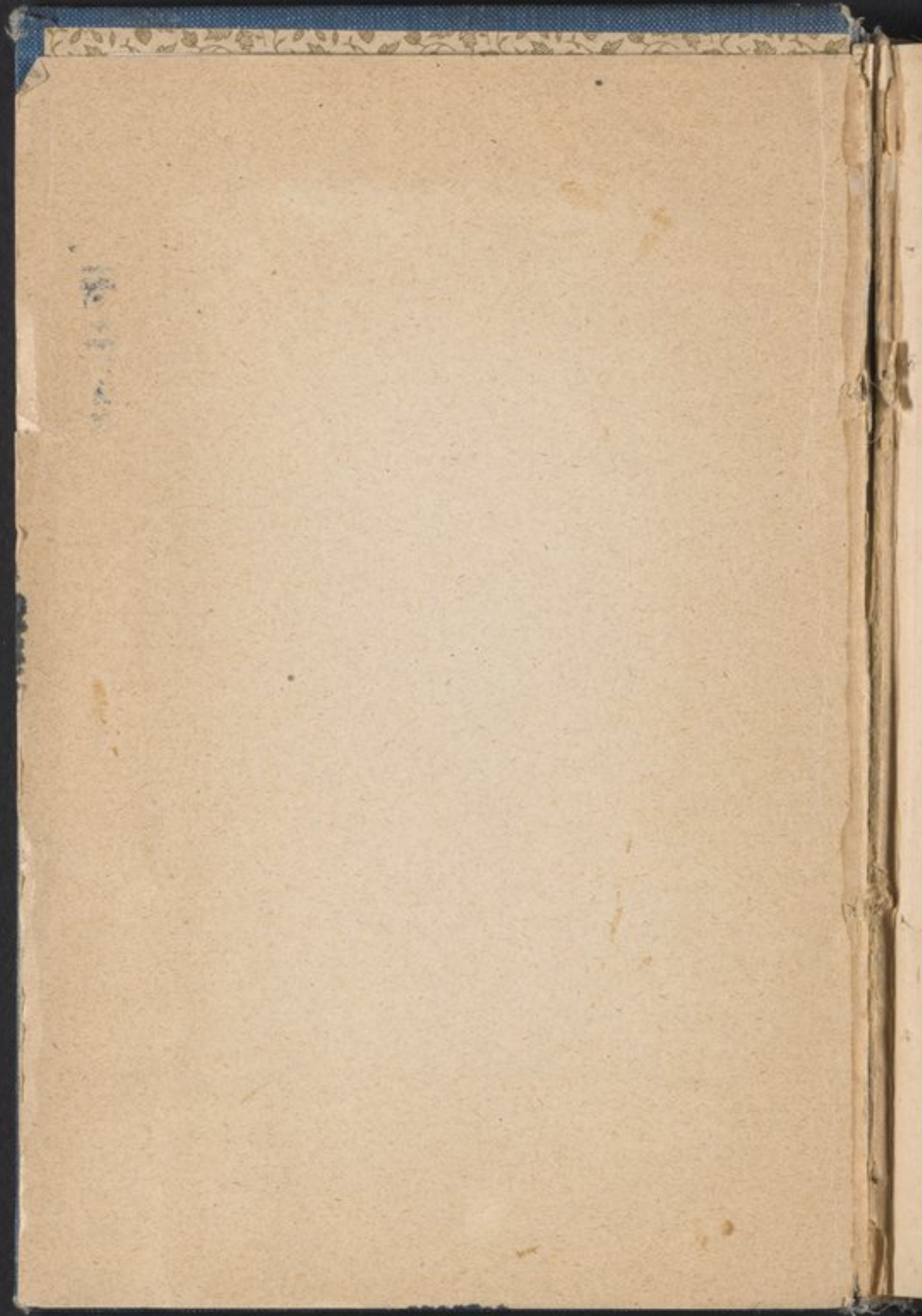
تطلب من

المطبعة السلفية - ومكتبتها

بشارع الاستئناف - بالقاهرة

مخزن الادب

أتمت المطبعة السلفية طبع الجزء الاول من هذا الكتاب
المعظم ، فجاء في ٤٣٥ صفحة كبيرة مطبوعاً على ورق فاخر جداً
بحروف جميلة . واعتمدنا في تصحيحه على نسخة العلامة الشنقيطي
الكبير المنقولة من خط المؤلف ، وحليناه بتصحيحات العلامة
الجليل صاحب السعادة الاستاذ أحمد تيمور باشا ، وتصحيحات
وتعليقات المحقق الكبير الاستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي
استاذ آداب اللغة العربية في جامعة عليكرة الاسلامية في الهند
فجاء من مفاخر ما قامت به الطباعة المصرية في هذه الايام
قيمة الاشتراك في كل جزء عشرة قروش مقدماً
وعند تسليم كل جزء تدفع قيمة الاشتراك بالجزء الذي يليه



DATE DUE

FEB 1972

BP
165.5
M8
1928



